

سلسلة العتسوق

حوالطريق في الاملا

طعاب اللفف

اللفف



اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمي

الاسكندرية

237.56

ع في

2

٥
سلسلة الحقوق

حق الطريق ف الاستلام

تأليف

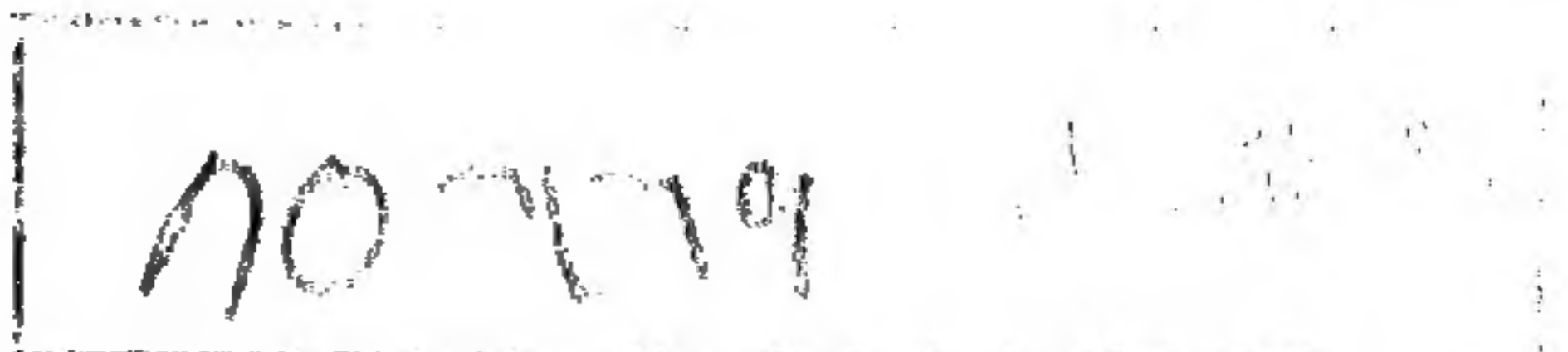
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

طه عبد الله العفيفي



دار الأحياء





قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ

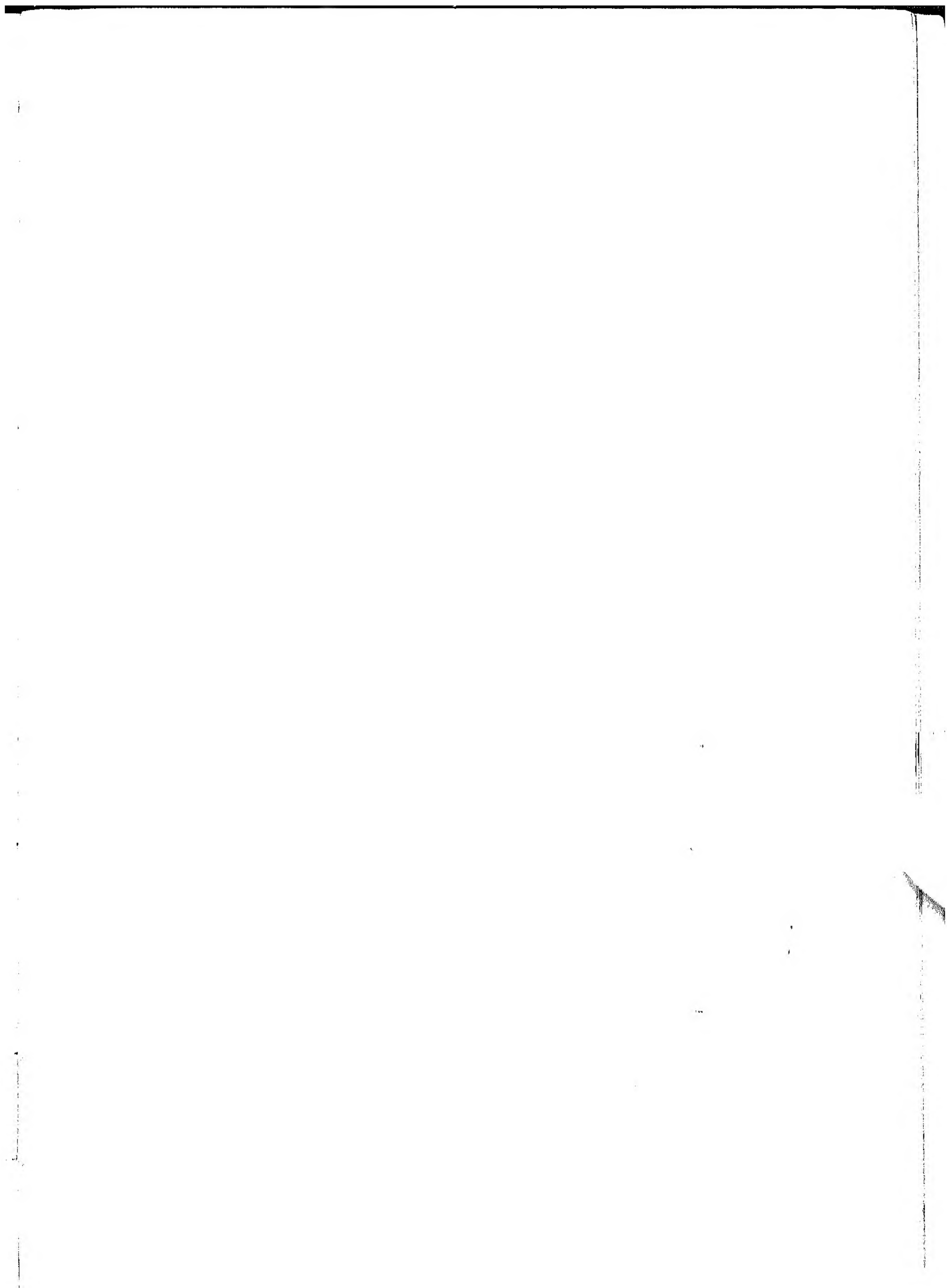
مَكَامَ الْأَخْلَاقِ

"رَوَاهُ مَالِكٌ"

الإهداء

• إلى الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه،
الذي ما تركت خيراً إلا وأتت به،
وما تركت شراً إلا وقد نهانا عنه،
• إلى الرحمة المهتداة صلوات الله وسلامه عليه،
الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للمهتدين،
• إلى صاحب الخلق العظيم صلوات الله وسلامه عليه،
الذي فتح الله به آذاناً صمماً، وقلوباً
غلفاً، وأعْيُنًا عمياً.
أقدم هذا الجهد المتواضع من تعاليمه
وأحاديثه النورية.
سائلاً المتولي سبحانه وتعالى أن
يهدينا به إلى الطريق المستقيم.
آمين.

المؤلف



تقديم

أخي المسلم :

منذ زمن بعيد وأنا أنوي (تأليف) كتاب موضوعي أدور فيه
— بتركيز — حول الآداب الإسلامية المتعلقة بحقوق الطريق
وآدابه :

وذلك لأنني منذ ذلك الحين وأنا ألاحظ مع غيرة من الشرفاء :
انحرافا خطيرا من جانب بعض المستهترين الذين تجردوا من الحياء :
بصورة تشكل خطورة كبيرة على أمتنا ومستقبلنا .

● وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هوى ذهبت أخلاقهم ذهبوا

● وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

●● وحتى يتأكد لك هذا : حسبك أن تقرا هاتين الآيتين
الكريمتين :

● (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) . الإسراء : الآية ١٦ .

● (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) .
هود : الآية ١١٧ .

●● وهذين الحديثين الشريفين :

● عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا معشر المهاجرين ، خمس خصائص إذا (١) ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن :

● لم تظهر الفاحشة (٢) في قوم قط حتى يعانون بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوباع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا .

● ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين (٣) وثمينة المؤنة (٤) وجور السلطان عليهم .

● ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا .

● ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدوا من غيرهم فآخذوا بعض ما في أيديهم .

● وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخبروا (٥) في ما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم) .

رواه ابن ماجه واللفظ له والبخاري .

● عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) .
رواه الترمذي وقال حديث حسن .

(١) جواب الشرط محذوف ، وهو : حل بهم من الهلاك ما لا يدرك كنهه .

(٢) الفاحشة : أي الزنا .

(٣) ، (٤) المراد أنهم يملكون بأزمات اقتصادية ، وجذب .

(٥) بالخاء من التخير وهو العمل بالقوى الأدلة وأخيرها .

●● وخلاصة ما أريد الإشارة إليه وما كان سببا في تأليف هذا الكتاب الذى بين يديك ، هو :

● أن بعض الشباب المستهتر — بصفة خاصة — قد أصبحنا الآن نراه يتسكع فى الطرقات بصورة مزعجة جعلتنا نخشى على بناتنا ونسائنا من نتائجها المشينة التى وصلت الى حد اختطاف بعض الفتيات والزوجات من عرض الطريق وفى وضوح النهار لكى يذهب بهن — مكرهات — الى حيث تنتهك أعراضهن كما قرأنا حديثا فى بعض الجرائد المحلية .

● وبعضهم أصبحنا نراه كذلك يسير ليلا ونهارا فى عرض الطريق واضعا ذراعه كاملا حول عنق فتاة رخيصة — مثله — بصورة مثيرة ومخلة بالآداب العامة والخاصة : بدعوى المدنية الكاذبة ، والمبادئ الرخيصة اليسارية المستوردة : دون حياء أو أدب أو أخلاق وكأن ماء الفضيلة لم يجز فى عروقهم : (فيا أرض ابلهى) أن لم يشأ الله تعالى هدايتهم .

● وبعضهم : أصبح لا يحلو له الا أن يجالس على قارعة الطريق أمام متهى أو ملهى بصورة مخلة بالآداب ، ومعتلة للمارة ، بل ومضيقية عليهم مسالكهم : لأن التناوب هؤلاء يجلسون على جانبي الطريق اللذين أعدا أساسا لمرور المواطنين ، مما يضطر هؤلاء المارة بعدا عن الشر أن يسيروا فى وسط الطريق وبين (السيارات) حيث يتعرضون — غالبا — بسبب ذلك لمخالفات قواعد المرور ، ولما لا يحمد عقباه من جانب إحدى السيارات السريعة :

هذا بالإضافة الى التعاليقات النابية التى تصدر من هؤلاء عندما تمر أمامهم فتاة أو زوجة ..

وقد تكون تلك المجالس (شيطانية) مائة فى المائة : بمعنى أنها قد تكون بالإضافة الى أنها مراكز لهو ولعب : قد تكون مراكز

تخطيط لارتكاب جريمة قتل أو سلب أو نهب أو خطف من جانب هؤلاء المستهترين لكي يشبعوا رغباتهم الجنسية ، ولكي يحصلوا على المال الذي به يفسدون ويعربدون :

ان الشـباب والفراغ والجـدة
مفسـدة للمرء أى مفسدة

وكان من الواجب على هؤلاء العابثين ان يكونوا مواطنين صالحين :

بمعنى ان يلتزموا بالأخلاقيات الكريمة التى ورثناها من آبائنا وأجدادنا الأمجاد الذين دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيما .

وبمعنى ان يملؤا فراغهم بالأعمال الصالحة الشريفة التى تضمن لهم الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه
حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .
النحل : الآية ٩٧ .

● وبعضهم : أصبحنا نراه وبكثرة فى الأماكن العامة ، وفى (الأتوبيسات) والقطارات يحمل (مسجلا) أو مذياعا مدارا بصورة مزعجة ومؤلمة ، بل ومخلة بالآداب العامة :

لأنها قد تؤذى مريضا ، فضلا عن مشاعر المواطنين الصالحين الذين يؤلمهم ويؤذيهم تصرفا مشينا كهذا ، خاصة اذا كانت معهم نساؤهم وبناتهم .

ومن المؤسف والمؤلم : انه اذا طلب من العابث هذا ، ان يسمع نفسه أو يغلق مذياعه أو مسجله تكون النتيجة كما نعلم

جميعا أن يقابل مثل هذا المطلب الشرعى بالألفاظ النابية التى تؤكد
سفالة هذا المجرد من الذوق السليم .

ومثل هذا قد يحدث كذلك من جانب أحد المدخنين فى المركبات
العامة إذا ما طلب منه أن يراعى اختناق مجاوريه .

● وبعضهم : أصبحنا نراهم يلعبون الكرة وسط الطريق
وبصورة لا تمكن غيرهم من المواطنين بأن يسيروا الى أعمالهم أو
منازلهم دون معوقات ، فضلا عن المواطنين الذين تطل نوافذهم
على تلك الملاعب المبتدعة التى تزعجهم ولا تمكنهم من الراحة
وخاصة بالنسبة للمرضى منهم ...

●● ولهذا ، ومن أجل كل هذا وغـيره من الأمراض
الاجتماعية والأخلاقية التى لا يتسع التقديم لذكرها : فقد رأيت
وتعاوننا على البر والتقوى ، بل : وتعاوننا مع رجال الأمن والدعاة
الى الفضيلة ، كداعية من الدعاة الى الله سبحانه وتعالى ، وحتى
لا تفرق السفينة ، كما يشير الحديث الشريف الصحيح الذى رواه
البخارى والذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

● (مثل القائم فى حدود الله (١) والأواقع فيها كمثل قوم
استثمروا (٢) على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها
وكان الذين فى أسفلها إذا استنقوا من الماء مروا على من فوقهم
فقالوا : لو ان خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان
تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا
ونجوا جميعا) .

رأيت : حتى لا نهلك جميعا كما هو واضح فى نص هذا

(١) القائم فى حدود الله تعالى : أى المنكر لها ، القائم فى دفعها وإزالتها ،
والمراد بالحدود ما نهى الله عنه .

(٢) أى اقترعوا .

الحديث ، أن أدور معك حول حديث شريف يوصينا فيه حبيبنا
المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بإعطاء الطريق حقه .

ولسوف ترى من خلال شرح هذا الحديث أن النبي صلى
الله عليه وسلم وهو الذي لا (... ينطق عن الهوى) قد سساهم
مساهمة فعالة في معالجة تلك الأمراض الخطيرة التي وقفت على
أهمها ، والتي كما تؤكد لك من خلال ما وقفت عليه ، لا بد من
التخلص منها ، ووضع حد لها وحتى لا أطيل عليك ، فإليك أولاً
نص الحديث ، ثم شرحه :

حق الطريق

• عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :

إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ...
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا لَنَا مِنْ بَجَائِسِنَا
بُذًا تَتَخَذُّ مِنْ فِيهَا..

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ
إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ..
قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟
قَالَ :

غَضُّ الْبَصَرِ
وَكَفُّ الْأَذَى
وَرَدُّ السَّيِّئِ
وَالْأَمْنُ بِالْمَعْرُوفِ
وَالسَّهْوُ عَنِ الْمُنْكَرِ

رواه البخاري ومسلم

۱۱۱
۱۱۲
۱۱۳
۱۱۴
۱۱۵
۱۱۶
۱۱۷
۱۱۸
۱۱۹
۱۲۰

— — —

سؤال وجواب

● أما السؤال ، فهو :

لماذا حذر الرسول صلوات الله وسلامه عليه أصحابه الفضلاء من الجلوس في الطرقات ، وهل كان هناك سبب لهذا ؟

● وللإجابة على هذا السؤال ، أقول وبالله التوفيق :

ان الرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يدرك تماما خطورة تلك المجالس التي كثيرا ما ترتكب فيها الجماقات وتدبر فيها المؤامرات ، بل وتردد فيها الاشاعات ، وتنتهك فيها الحرمات . .

ولهذا : فإنه عندما رأى بعض أصحابه يجلسون في الطرقات حذرهم من هذا خوفا عليهم ، وتحصينا لهم ضد أهوائهم وغرائزهم النفسية التي قد تعيدهم — ان أشبعوها — الى عاداتهم الجاهلية التي انقذهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه منها ومن آفاتهما .

ولكنهم عندما حذرهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه طمأنوه بأنهم لم يجلسوا من أجل هدف دنيوي أو شيطاني وإنما قد جالسوا من أجل هدف ديني :

كما يشير حديث آخر رواه مسلم : عن أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه ، قال : كنا نعود بالافنية نتحدث فيها فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فقال :

(ما لكم ولجالس الصعدات (١) : اجتنبوا مجالس الصعدات .
فقلنا : انما قعدنا لغير ما بأس ، قعدنا نتذاكر ونتحدث . قال :
اما لا ، فادوا حقها : غرض البصر ، ورد السلام ، وحسن الكلام) :

فاما علم الرسول صلوات الله وسلامه عليه منهم ان
مجالسهم مجالس خير لا شر : اقرهم على هذا ، ولكن على شريطة
ان يعطوا الطريق حقه ، وهو كما هو ثابت في نص الحديث الذي
ندور حوله :

(غرض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ،
والنهي عن المنكر) .

●● ولما كنا جميعا في حاجة سريعة الى تنفيذ هذا الحق ،
او هذه الحقوق التي هي في مجموعها حق واحد ، فقد رأيت ان أبدأ
فورا في شرح عناصر هذا الحق ، حسب ترتيبها ، فإليك :

(١) أي الطرقات ..

فَضْلُ الْبَصَرِ

1000

غض البصر

●● وحسبك حتى تعرف أهمية هذا العنصر الأساسي في حق الطريق أو حقوقه :

ان تقرا معي أولا هذه النصوص :

● يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

(ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) . الاسراء : الآية ٣٦ .

● وفي حديث رواه الحاكم وصححه ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، من تركها من مخافة الله أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه) .

● ويقول الشاعر الحكيم :

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها

فتاك السهم بلا قوس ولا وتر

●● بل وحسبك اذا أردت أن تقف على ضرورة غض البصر ، واهم النتائج المترتبة على هذا أن تقرا معي كذلك هاتين الآيتين الكريمتين اللتين يأمر الله سبحانه وتعالى فيهما عباده المؤمنين والمؤمنات — وفي سورة النور — بأن يغمضوا من ابصارهم ويحفظوا

فروجهم ، فيقول الله تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله
وسلامه عليه آمرا اياه بأن يبلغنا :

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ

يَغْضُوا مِنْ ابْصِرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ ابْصِرِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
بُحْمَرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوِ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوِ ابْنَائِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخُو نِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخُو نِهِنَّ
أَوْ بَنِي أَخُو نِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَالتَّابِعِينَ غَيْرِ
أُولَئِكَ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلُ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا إِنَّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٢﴾

- وحسبى حتى تنتفع الأخت المؤمنة بهاتين الآيتين : ان
أدور معكما حولهما من خلال ما هو ثابت فى كتب التفسير المعتمدة :
- ففى القرطبى يقول ما خلاصته :
- قوله تعالى : (قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ) الآية :

وصل تعالى بذكر الستر ما يتعلق به من أمر النظر ، ولم يذكر الله تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج ، غير ان ذلك معلوم بالعادة ، وان المراد منه المحرم دون المحال .

وفي البخاري : وقال سعيد بن ابي الحسن للحسن ان نساء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن ؟ فقال : اصرف بصرك ، يقول الله تعالى : (قل المؤمنین یغضوا من ابصارهم ویحفظوا فروجهم) .

واشار بعد ذلك الى ان (من) في قوله تعالى : (من ابصارهم) زائدة ، كقوله تعالى : (فما منكم من احد عنه حاجزين) : او : للتبعض لان من النظر ما يباح (١) . .

ويقول : البصر هو الباب الأكبر الى القلب وأمر طرق الحواس اليه ، وبحسب ذلك كثرة السقوط من جهته ، ووجب التحذير منه . وغضه واجب عن جميع المحرمات ، وكل ما يخشى الفتنة من أجله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (اياكم والجلوس على الطرقات) فقالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، فقال : (فاذا أبيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه) .

فسألوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : (غص البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاءة ، فأمرني أن اصرف بصرى . .

وهذا يتوون قول من يقول : ان (من) : للتبعض ، لان النظرة الاولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف ، اذ وقوعها لا يتأتى

(١) كما سواضح بعد ذلك .

أن يكون مقصودا ، فلا تكون مكتسبة فلا يكون مكلفا بها ، فوجب التبعيض لذلك ، ولم يقل ذلك في الفرج ، لأنها تملك .

ولقد كرهه الشعبي أن يديم الرجل النظر الى ابنته أو أمه أو أخته ، وزمانه خير من زماننا هذا !! وحرام على الرجل أن ينظر الى ذات محرمة نظر شهوة يرددها .

ثم يقول القرطبي في قوله تعالى : (ويحفظوا فروجهم) أى : يستروها عن أن يراها من لا يحل ، وقيل : (ويحفظوا فروجهم) أى : عن الزنى ، وعلى هذا القول لو قال : (من فروجهم) لجاز . والصحيح أن الجميع مراد واللفظ عام .

وروى بهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : (احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك) قال : الرجل يكون مع الرجل ؟ قال : (أن استطعت ألا يراها فافعل) قلت : فالرجل يكون خاليا ؟ فقال : (الله أحق أن يستحيا منه من الناس) .

وقد ذكرت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالها معه فقالت : ما رأيت ذلك منه ، ولا رأى ذلك منى .

ثم يشير القرطبي الى حكم آخر يتعلق بهذا ، فيقول :

بهذه الآية حرم العلماء نصا دخول الحمام (١) بغير مئزر .

وقد روى عن ابن عمر أنه قال : أطيب ما أنفق الرجل : درهم يعطيه للحمام في خلوة .

وصح عن ابن عباس أنه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة .

فدخوله : جائز للرجال بالمأزر ، وكذلك النساء للضرورة

(١) يعنى الحمامات العامة لا الخاصة .

كغسلهن من الحيض والنفاس أو مرض يلحتهن ، والأولى بهن
والأفضل لهن غسلهن ان أمكن ذلك في بيوتهن :

فقد روى أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة
حدثنا زيان عن سهل بن معاذ عن أبيه عن أم الدرداء أنه سمعها
تقول : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرجت من
الحمام ، فقالت : (من أين يا أم الدرداء) ؟ فقالت : من الحمام ،
فقالت : (والذي نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحد
من أمهاتها إلا وهى هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن عز وجل) .
وأخرج أبو بكر البزار عن طاووس عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (احذروا
بيوتا يقال لله الحمام) قالوا : يا رسول الله ، ينتفى الوسخ ؟
قال : (فاستقروا) :

قال أبو محمد عبد الحق : هذا أصح اسناد حديث في هذا
التهاب ، على أن الناس يرسلونه عن طاووس ، وأما ما أخرجه
أبو داود في هذا من الحظر والإباحة فلا يصح منه شيء لضعف
الأسانيد ، وكذلك ما أخرجه الترمذي .

ثم يقول القرطبي رحمه الله : أما دخول الحمام في هذه الأزمان
محرام على أهل الفضل والدين ، لغلبة الجهل على الناس
وأستسهالهم إذا توسطوا الحمام رمى مأزرهم ، حتى يرى الرجل
البهى ذو الشيبة قائما منتصبا وسط الحمام وخارجه باديا عن
عورته ضاما بين فخذه ولا أحد يغير عليه .

هذا أمر بين الرجال فكيف من النساء ! ولا سيما بالديار
المصرية (١) إذ حماماتهم خالية عن المظاهر التى هى عن أعين
الناس سواثر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

(١) انه يشير الى الحمامات العامة التى لا زال بعضها موجودا الى الآن —

مثلا — فى شارع محمد على ، وغيط العدة ، والغورية .

ثم يذكر بعد ذلك شروطا اشترطها العلماء لدخول تلك الحمامات العامة ، فيقول :

قال العلماء : فان استتر فليدخل بعشرة شروط :

● الأول : أن يدخل بنية التداوى أو بنية التطهير عن الرخصاء — أى العرق فى أثر الحمى .

● الثانى : أن يعتمد أوقات الخاوة أو قلة الناس .

● الثالث : أن يستتر عورته بزار صفيق .

● الرابع : أن يكون نظره الى الأرض أو يستقبل الحوائط لئلا يتع بصره على محظور .

● الخامس : أن يغير ما يرى من منكر برفق ، يتناول : استتر سترك الله .

● السادس : أن دلكه أحد لا يمكنه من عورته ، من سرته الى ركبتيه الا امرأته أو جاريته — الملوكة له — :

وقد اختلف فى الفخذين هل هما عورة أم لا .

● السابع : أن يدخله بأجرة معلومة بشرط أو بعبادة الناس .

● الثامن : أن يصب الماء على قدر الحاجة .

● التاسع : أن لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون أديانهم على كرائه .

● العاشر : أن يتذكر به جهنم ، فان لم يمكنه ذلك كله فليستتر وليجتهد فى غض البصر ..

ثم يقول القرطبي : قوله تعالى : (**ذلك أزكى لهم**) أى :
غض البصر وحفظ الفرج أطهر فى الدين وأبعد من دنس الآثام .
(**إن الله خبير**) أى عالم (**بما يصنعون**) : تهديد ووعد .

●● وقبل أن أواصل معك ما ذكره القرطبي حول الآية
الثانية ، وهى (**وقل : للمؤمنات ..**) :

دعنى أزودك أولاً بتلك الأحكام المتعلقة بالآية الأولى ، والتي
ذكرها الإمام المودودى ، فى كتابه (**الحجاب**) تعليقاً على موضوع
جواز نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية عند الضرورة — التى
سيذكرها — فيقول :

على أنه ظاهر أنه ما دام الإنسان قاتحاً عينيه فى هذه الدنيا ،
فلا بد أن يقع بعصره على كل ما حوله من الأشياء والأشخاص .
وليس فى الامكان أن لا يرى الرجل امرأة أبداً ، ولا ترى المرأة
رجلاً بحال .

فقول الشارع عليه السلام فى مثل هذا النظر : أنه ان وقع
فجأة فلا اثم فيه ، وإنما المحذور أن يعيد المرء نظره إلى حيث
يشتأنس الزينة والجمال ويجعله مرمى عينيه .

عن جرير قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
نظر الفجاءة فقال : (**أصرف بصرك**) . رواه أبو داود .

وعن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى :
(**يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وأيسر لك الآخرة**)
رواه أبو داود .

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (**من نظر إلى
محاسن امرأة أجنبية عن شهوة صب فى عينيه الآنك — الرصاص
المذاب — يوم القيامة**) تكلمة فتح القدير ج ٨ ص ٩٧ .

ثم يقول أثابه الله : على أنه قد يكون هناك من الأحياء ما يستدعى النظر الى امرأة أجنبية : كأن ينظر الطبيب الى مريضة ، أو ينظر القاضي الى امرأة تحضر بين يديه شاهدة أو فريقتا في قضية ، أو تحصر امرأة في حريق أو تقع في لجة — أى بحر — فتشرف على الغرق ، أو يكون عرضها أو نفسها عرضة للخطر .

ففى كل هذه الحالات يجوز النظر الى عورة المرأة فضلا عن وجهها ، ويجوز كذلك لمسها ، بل احتضانها أيضا — ان كانت متعرضة للحرق أو الغرق — ليس من الجائز فحسب ، بل هو واجب بالضرورة ويأمر الشارع فى هذه الأحوال ان يخلص المرء نيته من الفساد ما استطاع ، ولكنه ان اختلجت فى نفسه خلجة من الشهوة لمقتضى الطبع البشرى فيه . فلا جناح عليه فيه ، لأن مثل هذا النظر وهذا اللمس انما دعت الضرورة ، وليس فى مكنة الانسان منع مقتضيات الفطرة بته .

ثم يقول : وكذلك النظر الى الأجنبية ، بل اسفاف النظر اليها بتقصيد التزوج بها ، ليس بجائز فحسب ، بل هو مما ندب اليه فى السنة ، وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم نفسه امرأة بهذا التقصد .

وعن المغيرة بن شعبه انه خطب امرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما) رواه الترمذى .

وعن سهل بن سعد ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله جئت لأهب لك نفسى ، فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر اليها . رواه البخارى .

وعن ابي هريرة ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
فأتاه رجل فأخبره بأنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم : (أنظرت إليها ؟) قال : لا . قال :
(فاذهب فانظر إليها ، فإن في أعين الأنصار شيئا) .
رواه مسلم .

وعن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر إلى
ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل) رواه أبو داود .

ثم يقول في نهاية هذا التعليق : فيعلم من التأمل في هذه
الحالات الاستثنائية أنه ليس المقصود الشارع عليه السلام منع
النظر مطلقا ، بل المقصود سد ذريعة الفتنة ، ولذلك منع النظر
الذي لا تدعو إليه حاجة ولا فيه للتمدن منفعة ، ثم فيه أسباب
محركة لنزعات الشهوة في الإنسان .

وهذا الحكم موجه إلى الرجال وإلى النساء على حد سواء :
فقد أخرج الترمذي في سننه عن أم سلمة رضي الله عنها
أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة (١) . قالت :
فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم ، فدخل عليه ، وذلك بعدما
أمرنا بالحجاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(احتجبا منه) ، فقالت : يا رسول الله ! أليس هو أعمى ،
لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(أفعميا وان أنتما ؟ استما تبصرانه) .

●● وأما عن الآية الثانية ، وهي : (وقل للمؤمنات يفضضن
من أبصارهن) . إلى قوله تعالى : (من زينتهن) :

(١) وفي رواية : عائشة رضي الله عنها .

فقد ذكر القرطبي فيها ثلاثا وعشرين مسالة ، خلاصتها
كالآتي :

● الأولى : قوله تعالى : (وقل المؤمنات) : فقد خص الله سبحانه وتعالى الاناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد ، فان قوله تعالى : (قل للمؤمنين) يكفي ، لانه قول عام يتناول الذكر والانثى من المؤمنين ، حسب كل خطاب عام في القرآن . .

وبدا بالغض قبل الفرج لأن البصر رائد القلب ، كما ان الحمى رائد الموت . .

وفي الخبر : (النظرة سهم من سهام ابليس مسموم ، فمن غص بصره أورثه الله الحلاوة في قلبه) .

وقال مجاهد : اذا اقبلت المرأة جلس الشيطان على راسها فزينها لمن ينظر ، فاذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر .

فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين والمؤمنات بغض الابصار عما لا يحل ، فلا يحل للرجل ان ينظر الى المرأة ، ولا المرأة الى الرجل ، فان علاقتها به كعلاقته بها ، وقصدها منه كتقصده منها .

وفي صحيح مسلم : عن ابي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة . فالعينان تزنيان وزناهما النظر . .) الحديث . .

وقال الزهري في النظر الى التي لم تحض من النساء : لا يصح النظر الى شيء منهن ممن يشتهي النظر اليهن وان كانت صغيرة .

وكره عطاء النظر الى الجوارى اللاتي يبعن بمكة الا ان يريد أن يشتري .

وفي الصحيحين عنه عليه السلام انه صرف وجهه الفضل عن الخشعية حين سألته ، وطفق الفضل ينظر اليها .

ثم يقول القرطبي في ختام هذه الأولى :

فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تبدى زينتها الا لمن تحل له ، او لمن هي محرمة عليه على التأييد ، فهو أمن ان يتحرك طبعه اليها لوقوع اليأس له منها .

● الثانية : روى الترمذي عن نبهان مولى أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ولميمونة وقد دخل عليهما ابن أم مكتوم : (احتجبا) فقالتا : انه أعمى ، قال : (أفعميا وان أنتما السـمتا تبصرانه) . فان قيل هذا الحديث لا يصح عند أهل النقل لأن راويه عن أم سلمة نبهان مولاها وهو ممن لا يحتج بحديثه . وعلى تقدير صحته فان ذلك منه عليه السلام تغليظ على أزواجه لحرمتهن كما غلظ عليهن أمر الحجاب ، كما أشار اليه أبو داود وغيره من الأئمة .

ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر فاطمة بنت قيس — بعد ان طلقها زوجها — ان تعتد في بيت أم شريك ، ثم قال : (تلك امرأة يغشاها أصحابي ، اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك ولا يراك) .

قلنا : قد استدلل بعض العلماء بهذا الحديث على ان المرأة يجوز لها ان تطلع من الرجل على ما لا يجوز للرجل ان يطلع من المرأة كالرأس ، ومعلق القرط ، وأما العورة فلا . فعلى هذا : يكون مخصصا لعموم قوله تعالى : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) وتكون (هن) للتبعض كما هي في الآية قبلها .

قال ابن العربي : وانما أمرها بالانتقال من بيت أم شريك ، اذ كانت أم شريك مؤثرة بكثرة الداخل اليها ، فيكثر الرائي لها ، وفي بيت

ابن أم مكتوم لا يراها أحد ، فكان إمساك بصرها عنه أقرب من ذلك وأولى ، فرخص لها في ذلك ، والله أعلم .

● الثالثة : أمر الله سبحانه وتعالى النساء بألا يبدين زينتهن للناظرين ، إلا ما استثناه من الناظرين في باقى الآية حذارا من الافتتان ، ثم استثنى ما يظهر من الزينة ، واختلف الناس في قدر ذلك :

فقال ابن مسعود : ظاهر الزينة هو الثياب .

وزاد ابن جبير : الوجه .

وقال سعيد ابن جبير أيضا وعطاء والاوزاعى : الوجه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة : ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب الى نصف الذراع والقرظة والفتخ (١) : ونحو هذا ، فمباح أن تبديه لكل من دخل عليها من الناس .

وذكر الطبرى عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا يحل لامرأة أن تؤمن بالله واليوم الآخر اذا عركت (٢) أن تظهر الا وجهها ويديها الى هنا) وقبض على نصف الذراع .

قال ابن عطية : ويظهر لى بحكم الفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدى وأن تجتهد في الاخفاء لكل ما هو زينة ، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه أو اصلاح شأن ونحو ذلك . و (ما ظهر) على هذا الوجه ما تؤدى اليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه .

(١) المفتخ (بفتحين جمع الفتحة) خواتيم كبار تلبس في البيت .

(٢) عركت المرأة : أى حاضت .

ثم يقول القرطبي بعد ذلك قلت : هذا قول حسن ، الا انه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج ، فيصلح ان يكون الاستثناء راجعا اليهما .

يدل على ذلك ما رواه ابو داود عن عائشة رضى الله عنها ان اسماء بنت ابي بكر الصديق رضى الله عنهما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها : (يا اسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا) وأشار الى وجهه وكفيه .

فهذا أقوى من جانب الاحتياط ، ولإعارة فساد الناس ، فلا تبدى المرأة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها ، والله الموفق لا رب سواه .

وقد قال ابن خويز منداد من علمائنا : ان المرأة اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك ، وان كانت عجوزا مقبحة جاز ان تكشف وجهها وكفيها .

● الرابعة : الزينة على قسمين : خاقية ومكتسبة ، فالخلقية وجهها فانه اصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية ، لما فيه من المنافع وطرق العلوم . .

وأما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خاقتها ، كالثياب والحلى والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعالى : (خذوا زينتكم) .

وقال الشاعر :

ياخذن زينتهن أحسن ما ترى وإذا عطلن فهن خير عواطل

● الخامسة : من الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر : فمباح ابدا لكل الناس من المحارم والاجانب ، وقد ذكرنا ما للعلماء فيه .
وأما ما بطن : فلا يحل ابتاؤه الا لمن سماهم الله تعالى في هذه الآية ، او حل محلهم .

واختلف في السوار ، فقالت عائشة : هي من الزينة لأنها في اليدين .

وقال مجاهد : هي من الزينة الباطنة لأنها خارج عن وانما تكون في الذراع .

قال ابن العربي : وأما الخضاب فهو من الزينة الباطنة كان في القدمين .

● السادسة : قوله تعالى : (ولا يضربن بخمرهن على heads)
قرأ الجمهور بسكون اللام التي هي للأمر .

وقرأ أبو عمرو في رواية ابن عباس بكسرها على الأصل (في الأم) الأمر الكسر ، وحذفت الكسرة لثقلها تسكينها لتسكين عضد وفخذ . و (يضربن) في موضع جزم إلا أنه بنى على حالة واحدة أتباعا للماضي عند سيبويه

وسبب هذه الآية : أن النساء كن في ذلك الزمان إذا رمسن بالأخمرة وهي المقانع سيدلنها من وراء الظهر .

قال النخاش : كما يصنع النبط ، فيبقى النحر والعنق ولا يستر على ذلك ، فأمر الله تعالى بلى الخمار على الجيوب ، ذلك : أن تضرب المرأة بخمارها على جيبها لتستر صدرها

روى البخاري عن عائشة أنها قالت : رحم الله المهاجرات (١) :

لما نزل : (ولا يضربن بخمرهن على جيوبهن)
أزرهن فاخترن بها .

(١) أي النساء المهاجرات .

ودخلت على عائشة حفصة بنت أخيها عبد الرحمن رضي الله
عنهم وقد اختمرت بشيء يشف عن عنقها وما هنالك ، فشقتة عليها
وقالت : إنما يضرب بالكثيف الذي يستر .

● السابغة : الخمر - بضم الخاء والميم - جمع الخمر ،
وهو ما تغطى به المرأة رأسها ، ومنه اختمرت المرأة وتخمرت ،
وهي حسنة الخمرة .

والجيوب : جمع الجيب ، وهو موضع القطع من الدرع
والقميص ، وهو من الجوب وهو القطع .

وقال مقاتل : (على جيوبهن) أي على صدورهن ، يعني على
مواضع جيوبهن .

● الثامنة في هذه الآية دليل على أن الجيب إنما يكون في الثوب
بموضع الصدر .

وكذلك كانت الجيوب في ثياب السلف رضوان الله عليهم ،
على ما يصححه النسياء عندنا بالإنديس وأهل الديار المصرية من
الرجال والصبيان وغيرهم .

وقد ترجم البخاري رحمه الله عليه : .

(باب جيب القميص من عند الصدر وغيره) .

ونساق حديث أبي هريرة قال ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثلي رجلين عليهما جبتان من حديد
قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقبهما . الحديث . وفيه غلو
رأيت يوسعها ولا تتوسع .

فهذا يبين لك أن جيبه عليه السلام كان في صدره ، لأنه لو
كان في منكبه لم تكن يداه مضطرة إلى ثدييه وتراقبه .

وهذا استدلال حسن .

● التاسعة : قوله تعالى : (**الابعولتهن**) البعل هو الزوج والسيد في كلام العرب ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل (**اذا ولدت الأمة بعثها**) يعنى سيدها ، اشارة الى كثرة السرارى بكثرة الفتوحات ، فيأتى الأولاد من الاماء فتعتق كل أم بولدها وكأنه سيدها الذى من عليها بالعتق ، اذ كان العتق حاصلا لها من سببه .

قاله ابن العربى .

قلت : ومنه قوله عليه السلام في مارية : (**اعتقها ولدها**) فنسب العتق اليه . .

وهذا من احسن تأويلات هذا الحديث والله اعلم .

مسألة : فالزوج والسيد يرى الزينة من المرأة واكثر من الزينة اذ كل محل من بدنهما حلال له لذة ونظرا .

ولهذا المعنى بدأ بالبعولة ، لأن اطلاقهم يقع على اعظم من هذا ، قال الله تعالى : (**والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين**)

المؤمنون : الآية ٥ ، ٦ .

● العاشرة : اختلف الناس في جواز نظر الرجل الى فرج المرأة ، على قولين :

أحدهما : يجوز ، لأنه اذا جاز له التلذذ به فالنظر أولى .

وقيل : لا يجوز ، لقول عائشة رضى الله عنها في ذكر حالها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما رأيت ذلك منه ولا رأى ذلك منى .

والأول أصبح ، وهذا محمول على الأدب ، قاله ابن العربي .

وقال ابن خويز منداد : أما الزوج والسيد (١) فيجوز له أن ينظر إلى سائر الجسد وظاهر الفرج دون باطنه . وكذلك المرأة يجوز أن تنظر إلى عورة زوجها ، والأمة إلى عورة سيدها .

ثم يقول القرطبي : قلت : وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (النظر إلى الفرج يورث الطمس) أى العمى ، أى : فى الناظر .

وقيل : أن الولد بينهما يولد أعمى . والله أعلم .

● الحادية عشرة : لما ذكر الله تعالى الأزواج وبدأ بهم ثنى بذوى المحارم وسوى بينهم فى ابداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما فى نفوس البشر .

فلا مريّة (٢) أن كشف الأب والآنح على المرأة أحوط من كشف ولد زوجها .

وتختلف مراتب ما يبدى لهم ، فيبدى للأب ما لايجوز ابداءه لولد الزوج .

وقد ذكر القاضى اسماعيل عن الحسن والحسين رضى الله عنهما أنهما كانا لا يريان أمهات المؤمنين .

وقال ابن عباس : أن رؤيتهما لهن تحل .

قال اسماعيل : احسب أن الحسن والحسين ذهبا فى ذلك إلى أن أبناء البعولة لم يذكروا فى الآية التى فى أزواج النبي صلى الله

(١) أى مالك الجارية .

(٢) أى : لا شك .

عليه وسلم ، وهى قوله تعالى : (لا جناح عليهن فى آبائهن) (٢) . وقال فى سورة النور : (ولا يبدىن زينتهن الا لبعولتهن) الآية . فذهب ابن عباس الى هذه الآية ، وذهب الحسن والحسين — عليهما رضوان الله — الى الآية الأخرى .

● الثانية عشرة : قوله تعالى : (أو أبناء بعولتهن) يريد أولاد الأزواج ، ويدخل فيه أولاد الأولاد وأن سفلوا ، من ذكران أو إناث ، كبنى البنين وبنى البنات .

وكذلك : آباء البعولة والأجداد وأن علوا من جهة الذكران لأبواء الآباء ، وآباء الأمهات ، وكذلك أبناءهن وأن سفلوا .

وكذلك أبناء البنات وأن سفلن ، فيستوى فيه أولاد البنين وأولاد البنات .

وكذلك : أخواتهن ، وهم من ولده الآباء والأمهات أو أحد الصنفين .

وكذلك : بنو الأخوة وبنو الأخوات وأن سفلوا من ذكران كانوا أو إناث كبنى الأخوات وبنى بنات الأخوات .

وهذا كله : فى معنى ما حرم من المناكح ، فإن ذلك على المعانى فى الولادات وهؤلاء محارم ، وقد تقدم ، فى (النساء) (٢) .

والجمهور : على أن العم والخال كسائر المحارم فى جـواز النظر لهما الى ما يجوز لهم .

وليس فى الآية ذكر الرضاع ، وهو كالنسب على ما تقدم .
وعند الشافعى وعكرمة : ليس العم والخال من المحارم .

(١) الأحزاب : من الآية ٥٥ .

(٢) راجع ج ٥ ص ١٠٥ وما بعدها : (فى القرطبي) .

وقال عكرمة : لم يذكرهما في الآية لأنهما تابعان لأبنائهما .

● الثالثة عشرة : قوله تعالى : (أو نسائهن) يعنى
المسلمات ، ويدخل في هذا الاءاء المؤمنات ، ويخرج من نساء
المشركين من أهل الذمة وغيرهم ، فلا يحل لامرأة مؤمنة أن تكشف
شيئا من بدنهما بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون أمة لها ، فذلك
قوله تعالى : (أو ما ملكت أيمانهن) .

● الرابعة عشرة : قوله تعالى : (أو ما ملكت أيمانهن) ظاهر
الآية يشمل العبيد والاءاء المسلمين والكتابيات . وهو قول جماعة
من أهل العلم ، وهو الظاهر من مذهب عائشة وأم سلمة رضي الله
عنهما .

وقال ابن عباس : لا بأس أن ينظر المملوك الى شعر مولاته .
وقال أشهب : سئل مالك أتلقى المرأة خمارها بين يدي الخصى؟
فقال : نعم ، اذا كان مملوكا لها أو لغيرها ، وأما الحر فلا .

● الخامسة عشرة : قوله تعالى : (أو التابعين غير أولى
الأربة من الرجال) : أي غير أولى الحاجة . والأربة الحاجة ، يقال :
أربت كذا ، أرب أربا .

واختلف الناس في معنى قوله تعالى :

(أو التابعين غير أولى الأربة) فقيل : هو الأحمق الذي لا حاجة
به الى النساء . وقيل الأبله . وقيل : الرجل يتبع القوم فيأكل معهم
ويرتفق بهم ، وهو ضعيف لا يكثرث بالنساء ولا يشتهيهن . وقيل :
العنين . وقيل : الخصى . وقيل : المخنث . وقيل : الشيخ الكبير ،
والصبي الذي لم يدرك .

● السادسة عشرة : وصف التابعين — (غير) لأن التابعين
غير مقصودين بأعيانهم ، فصار اللفظ كالنكرة و (غير) لا يتمخض

نكرة فجاز أن يجرى وصفا على المعرفة . وإن شئت قلت هو يدل . والقول فيها كالقول في (غير المفضوب عليهم) .

وقرأ عاصم وابن عامر (غير) بالنصب فيكون استثناء ، أى يبدى زينتهن للتابعين إلا إذا أريد منهم . ويجوز أن يكون حالا ، أى والذين يتبعونهن عاجزين عنهن ، قاله أبو حاتم .

وذو الحال ما في (التابعين) من الذكر .

● السابعة عشرة : قوله تعالى : (أو الطفل) اسم جنس بمعنى الجمع ، والدليل على ذلك نعتة بـ (الذين) . وفي مصحف حفصة (أو الأطفال) على الجمع . ويقال : طفل ما لم يراهق الحلم . و (يظهروا) معناه يطلعوا بالوطء ، أى لم يكشفوا عوراتهن للجماع لصغرهن . وقيل لم يبلغوا أن يطبقوا النساء ، يقال : ظهرت على كذا أى علمته ، وظهرت على كذا أى قهرته . .

● الثامنة عشرة : اختلف العلماء في وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه (١) على قولين :

أحدهما : لا يلزم ، لأنه لا تكليف عليه ، وهو الصحيح . والآخر يلزمه لأنه قد يشتهى وقد تشتهى أيضا هي ، فإن راهق فحكمه حكم البالغ في وجوب الستر .

ومثله : الشيخ الذي سقطت شهوته ، اختلف فيه أيضا على قولين كما في الصبى ، والصحيح : بقاء الحرمة ، قاله ابن العربي .

● التاسعة عشرة : أجمع المسلمون على أن السوءتين عورة من الرجل والمرأة ، وأن المرأة كلها عورة ، إلا وجهها ويديها فأنهم اختلفوا فيهما . وقال أكثر العلماء في الرجل : من سرته إلى ركبته عورة ، لا يجوز أن ترى .

(١) أى من الطفل .

● الموفية عشرين : قال أصحاب الراى : عورة المرأة مع عبدها من السرة الى الركبة . ابن العربى : وكأنهم ظنوها رجلا او ظنوه امرأة ، والله تعالى قد حرم المرأة على الاطلاق لنظر او لذة ، ثم استثنى اللذة للأزواج وملك اليمين ، ثم استثنى الزينة لاثنى عشر شخصا العبد منهم ، فما لنا ولذلك ! هذا نظر فاسد ، واجتهاد عن السداد متباعد .

وقد تأول بعض الناس قوله : (او ما ملكت أيمانهن) على الاماء دون العبيد ، منهم سعيد بن المسيب ، فكيف يحملون على العبيد ثم يلحقون بالنساء ، هذا بعيد جدا ! وقد قيل : أن التقدير او ما ملكت أيمانهن من غير أولى الاربة او التابعين غير أولى الاربة من الرجال ، حكاه المهدوى .

● الحادية والعشرون : قوله تعالى :

(ولا يضربن بأرجلهن) الآية . اى لا تضرب المرأة برجلها اذا مشيت لتسمع صوت خلخالها ، فاسماع صوت الزينة كابداء الزينة واشد ، والغرض التستر .

اسند الطبرى عن المعتمد عن أبيه انه قال : زعم حضرمى أن امرأة اتخذت برتين — خلخالين — من فضة ، واتخذت جزعا — من الخرز — فجعلت فى ساقها فمرت على القوم فضربت برجلها الأرض فوقع الخلخال على الجزع فصوت ، فنزلت هذه الآية .

وسماع هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدائها ، قاله الزجاج .

● الثانية والعشرون : من فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ، ومن فعل ذلك منهن تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام مذموم .

وكذلك من ضرب بفعله من الرجال ، ان فعل ذلك تعجبا حرم ،
فان العجب كبيرة ، وان فعل ذلك تبرجا لم يجز .

● الثالثة والعشرون : قال مكي رحمه الله تعالى : ليس في
كتاب الله تعالى آية أكثر ضمائر من هذه ، جمعت خمسة وعشرين
ضميرا للمؤمنات من مخفوض ومرفوع .

● ثم يقول القرطبي رحمه الله تعالى بعد ذلك ، حول قوله
تعالى (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون) .
ما خلاصته :

ان التوبة واجبة ولا خلاف بين الأمة في ذلك ، لان الله تعالى
أمر بها ، في قوله (وتوبوا) وفعل الأمر ينصرف الى الواجب ،
والواجب ما يثاب الانسان على فعله ويعاقب على تركه .

وان التوبة فرض متعين ثم يقول :

والمعنى : وتوبوا الى الله فانكم لا تخلون من سهو وتقصير
في أداء حقوق الله تعالى ، فلا تتركوا التوبة في كل حال .

● كما يقول الصاوي على الجلالين حول هذه الآية :
(قوله) : (وتوبوا الى الله جميعا) : هذا أحسن اختتام لهذه
الآية ، كان الله يقول :

لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيت عنه فليتوب
فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود .

● فإذا كنت أخا الاسلام ، وأنت أيتها الأخت المسلمة :

إذا كنتما قد وقفتما على ضرورة تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى ،
بالنسبة لفض البصر الذي كما رأيتما قد بدأ الله سبحانه وتعالى به ،
لأنه هو المحرك للفريزة الجنسية من الجنسين ، ولا نسيما إذا لم
يكن هناك إيمان يحفظهما :

فقد رأيت وبعد أن عرفنا أهم الأحكام المتعلقة بغض البصر تنفيذ الأمر الله سبحانه وتعالى للمؤمنين والمؤمنات :

رأيت أن أشير — كذلك — الى بعض الأحكام الأخرى المتعلقة بالمرأة ، والتي يجب عليها أن تلتزم بها حتى لا تكون فتنة للرجال ، وسببا في هلاكهم ، كما يشير الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء) .
متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وأول ما سأبدا به الآن ، هو (١) :

غريزة التبرج واطهار الزينة

يقول المودودي : ومن لواحق فتنة النظر هذه ما يحجب الى المرأة أن يرى حسناتها وجمالها وهذه الرغبة لا تكون جلية بارزة أبدا . ولكن هذا النزوع الى اظهار الزينة يكمن لامحالة في مطاوي النفس وهو الذي تظهر آثاره في زينة اللباس وتجميل الشعر وانتخاب الأزياء الرقيقة الجذابة ، وما الى ذلك من الجزئيات الخفيفة التي لا يمكن حصرها . وقد عبر القرآن عن ذلك بمصطلح جامع هو : (تبرج الجاهلية) فكل زينة وكل تجميل تقصد به المرأة أن تحلو في عين الأجانب ، يطلق عليه (تبرج الجاهلية) حتى القناع الذي تستتر به المرأة ، ان انتخب من الألوان البارقة والشكل الجذاب لكي تلذ به أعين الناظرين ، فهو أيضا من مظاهر التبرج الجاهلي ، وليس في الامكان أن تضبط هذه المظاهر كلها بقانون ، بل الأمر موكول في ذلك الى ضمير المرأة نفسها فعليها أن تحاسب نفسها وتتجسس فيها لعلها يكمن في مطاويها هذا النزوع الى التبرج فان وجدته ، فهي لا ريب مخاطبة في الأمر الالهي : (ولا تبرجن تبرج

(١) كما هو ثابت بتصريف في كتاب (الحجاب) للمودودي .

الجاهلية الأولى (الأحزاب : الآية ٣٣ . وان الزينة التى تخلو من كل نية فاسدة هى الزينة المشروعة فى الاسلام ، وأما التى تشوبها شائبة من فساد النية فهى زينة الجاهلية .

فتنة اللسان

ووكيل آخر لشيطان النفس هو اللسان ، وما أكثر الفتن التى يبعثها اللسان وينشرها رجل وامرأة يتكلمان ، ولا يبدو فى حديثهما ما يشكك أو يريب . ولكن خائنة القلوب قد جعلت الصوت رخيما ، واللهجة مشوقة والحديث عذبا فيشير اليها القرآن بقوله :

(ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا) الأحزاب : الآية ٣٢ .

ثم هذه الخائنة القلبية هى التى تلتذ بحكاية أحوال الناس فى علاقتهم الجنسية المشروعة أو غير المشروعة ، كما تلتذ باستماعها ، ولأجل هذه اللذة تخلق قصص الحب والغرام من كل صحيح الخبر وموضوعه ، وتسرد فى النوادى والمحافل ، فتنتشر منها فى المجتمع انتشار النار فى الهشيم . فنبه القرآن على هذا أيضا بقوله :

(ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة) النور : الآية ١٩ .

ولفتنة اللسان شعب أخرى متعددة . وفى كل شعبة منها تعمل خائنة من خوائن القلوب عملها وقد استقرأها الاسلام ونبه عليها .

● فليس للمرأة ان تصف أحوال غيرها من النساء لزوجها : لقول النبى صلى الله عليه وسلم : **(لا تبأثر المرأة المرأة حتى تصفها لزوجها كأنه ينظر إليها)** رواه الترمذى .

● والمرأة والرجل كلاهما قد نهى عن أن ينشر سره للناس ،

لأن ذلك يشيع الفاحشة ويغري بها القلوب . كما ورد في حديث رواه أبو داود .

● وان أدرك الإمام سهو في الصلاة ، أى وجب فيها تنبيه على شيء فعلى الرجال أن يقولوا : سبحان الله ، ولكن النساء أمرن بأن يصفقن وليس لهن أن يجهرن بقول . كما جاء في الحديث الذى رواه أبو داود : باب التصفيق في الصلاة . والبخارى : في باب التصفيق للنساء .

فتنة الصوت

وربما سكنت اللسان . وقامت حركات أخرى تؤثر على سمع السامع بصوتها . وهذا أيضا من باب فساد النية ، فيمنعه الاسلام بقوله : (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) .

فتنة الطيب

والطيب أيضا رسول من نفس شريرة الى نفس شريرة أخرى . وهو من الطف وسائل المخابرة والمراسلة ، مما تهاون به النظم الأخلاقية عامة ولكن الحياء الاسلامى يبلغ من رقة الاحساس ان لا يحتمل حتى هذا العامل اللطيف من عوامل الاغراء :

● فلا يسمح للمرأة المسلمة أن تمر بالطريق او تغشى المجالس مستعطرة . لأنها وان استتر جمالها وزينتها ينتشر عطرها في الجو ويحرك العواطف . قال النبى صلى الله عليه وسلم :

(المرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس ، فهي كذا ، يعنى زانية) رواه الترمذى .

وقال عليه الصلاة والسلام :

(اذا شهدت احداكن المسجد فلا تمسن طيبا) رواه مالك في الموطأ ، ورواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم :

(طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه) رواه الترمذى وأبو داود .

فتنة العرى

ثم بعد ذلك يقول المودودى أكرمه الله : ان التعبير النفسى الكامل الصحيح الذى قد عبر به الاسلام عن غريزة الحياء الانسانى فى باب ستر العورات ، لا مثيل له فى حضارة من حضارات العالم . ومن حال أرقى أمم الأرض وأعلاها ثقافة اليوم — دع عنك غيرها — ان رجالها ونساءها لا يتخرجون من كشف أى جزء من أجزاء جسددهم . واللباس عندهم مجرد الزينة ، لا للستر — ولكن الاسلام أكثر ما يهتم به من اللباس هو الستر دون جاذبية فيها للصنف الآخر . والعرى عند الاسلام من الوقاحة وسوء الأدب الذى لا يكاد حياؤه يصبر عليه بحال من الأحوال .

● وماذا يقال فى الأجانب ، ان الاسلام لا يحب حتى للزوجين ان يتجرد أحدهما أمام الآخر . ففى الحديث الشريف :

(وإذا أتى أحدكم أهله فليستتر ، ولا يتجرد البعيرين) رواه ابن ماجه .

وقالت عائشة رضى الله عنها :

(ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) : شمسائل الترمذى .

وأفضل درجة من الحياء أن لا يرضى الاسلام للمرأة ان يتجرد حتى فى خلوته ، لأن الله أحق أن يستحيا منه . كما ورد فى حديث رواه الترمذى .

وجاء كذلك فى الحديث الشريف :

(اياكم والتعري فان معكم من لا يفارقكم الا عند الغائط وحين
يفضى الرجل الى اهله فاستحيوهم واكرمهم) رواه الترمذى .

● وما اللباس الذى يشف عن الجسم ويفضح العورات
بلباس فى نظر الاسلام .

قال صلى الله عليه وسلم :

(نساء كاسيات عاريات مميلات مائلات ، رءوسهن
كاسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها)
رواه مسلم .

●● وأما عن :

حكم الوجه

فقد قال المودودى ، ما خلاصته :

ان الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

● (يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين)
الأحزاب : آية ٥٩ .

قد نزلت خاصة فى ستر الوجه .

ثم يقول : (والجلابيب) جمع جباب وهو الثوب الواسع أو
الخمار أو الرداء . و (يدنين) أى : يرخين .

فمعنى الآية بالحرف : أن يرخين جانباً من خمرهن أو ثيابهن
على أنفسهن .

وهذا هو المفهوم من (ضرب الخمار على الوجه) والمقصود
به ستر الوجه واخفاؤه سواء كان بضرب الخمار أو بلبس النقاب،
أو بطريقة أخرى غيره ..

وقد ذكرت الآية من مصالحه أن المسلمات إذا خرجن من بيوتهن متسترات على هذا النحو ، علم أهل الريّة من النساء أنهن شريفات ، لا إماء ولا متبذلات فلم يتعرض لهن أحد . .

وجميع المفسرين قد ذهبوا هذا المذهب في تفسير هذه الآية :

فيروى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله :

(أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق بالجلابيب) .

تفسير ابن جرير الطبري — ج ٢٢/٢٩ .

● وعن ابن سيرين قال : (سألت عبيدة بن سفيان بن الحارث الحضرمي عن قوله تعالى : « قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن » قال : فقال بثوبه ، فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه) .

تفسير الطبري ٢٢٩/٢٢ أحكام القرآن للجصاص — ٤٥٧/٣ .

● ويقول العلامة ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين لا تتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن وجوههن ، ولكن يدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض لهن فاسق إذا علم أنهن حرائر ، بأذى من قول) .

تفسير الطبري — ٢٩/٢٢ .

● ويقول العلامة أبو بكر الجصاص : (وفي هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها على الأجنيبين وإظهار البستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب فيهن) أحكام القرآن — ٤٥٨/٣ .

● وقال العلامة النيسابورى فى تفسير هذه الآية :

(كانت النساء فى أول الإسلام على عاداتهن فى الجاهلية متبذلات يبرزن فى درع وخمار من غير فصل بين الحرة والأمة . فامرن بلبس الأردية وستر الرأس والوجوه . (ذلك) الأدناء (أدنى) واقرب الى (أن يعرفن) أنهن حرائر أو أنهن لسن بزانيات ، فان التى سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها) .

تفسير غرائب القرآن على حاشية ابن جرير الطبرى — ج ٢٢/٣٢

●● وقال الامام فخر الدين الرازى :

(وكان فى الجاهلية تخرج الحرة والأمة مكشوفات يتتبعهن الزناة وتقع التهم . فامر الله الحرائر بالتجالب . وقوله تعالى : (ذلك أدنى أن يعرفن أنهن لا يزنيان : لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة لا يطمع فيها أن تكشف عورتها ، فيعرفن أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنى منهن) تفسير الكبير للرازى — ج ٦/٩٦ .

وقال القاضى البيضاوى : (يدنين عليهن من جلابيبهن) : أى يغطين وجوههن وابدائهن ، بملاحفهن اذا برزن لحاجة . و (من) للتبعيض . فان المرأة ترخى بعض جلبابها وتتلفع ببعض . ذلك أدنى أن يعرفن : يميزن من الأماء والقيينات . فلا يؤذين : فلا يؤذيهن أهل الزينة بالتعرض لهن . تفسير البيضاوى ج ٤/١٦٨ .

●● فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا عند خروجها من بيتها حتى لا تتعرض لاىذاء أهل الفسق والفجور .

وحسبى ، أن أزودها كذلك بتلك الآداب الإسلامية — كتلخيص — لكل ما ذكرناه — كما هو ثابت فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) حتى تكون كذلك من المطبقات لتعاليم الإسلام ، وهى :

● **غض البصر :** حتى تكون من المؤمنات المخاطبات في قوله تعالى : **(وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن . .)** ، وحتى تكون كذلك من المتزينات بالحياء الذى هو أعظم زينة ، وهو الخير كله ، نفى الحديث الشريف : **(الحياء خير كله)** .

● **عدم الاختلاط بالرجال** اختلاط تلاصق وتماس ، كما يحدث في دور السينما ، ومدرجات الجامعات ، وقاعات المحاضرات والاماكن العامة ، ومركبات النقل ، ونحوها في هذا الزمان .

وحسبها هذا الحديث الشريف الذى رواه معقل بن يسار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : **(لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط (١) من حديد ، خير له من أن يمس امرأة لاتحل له)** قال المنذرى : رواه الطبرانى والبيهقى ، رجال الطبرانى ثقات ، رجال الصحيح .

● **أن تكون ملابسها موافقة لأدب الشرع الاسلامى ، واللباس الشرعى هو الذى يجمع الأوصاف التالية :**

١ - أن يغطى جميع الجسم : عدا ما استثناه القرآن في ، **(ما ظهر منها)** وأرجح الأقوال أنه الوجه والكفان .

٢ - ألا يشف ويصف ما تحته : فقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم : **(أن من أهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات . . لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها)** .

ومعنى كاسيات عاريات : أن ثيابهن لا تؤدى وظيفة الستر فتصف ما تحتها لرقتها وشفافيتها .

دخلت نسوة من بنى تميم على عائشة رضى الله عنها وعليهن ثياب رقاق فقالت عائشة :

(١) المخيط : ما يخط به كالإبرة والمسلة ونحوهما .

(ان كنتن مؤمنات فليس هذا بثياب المؤمنات) .

وأدخلت عليها امرأة عروس عليها خمار رقيق شفاف فقالت :
لم تؤمن بسورة (النور) امرأة تلبس هذا .

٣ — الا يحدد أجزاء الجسم ، ويبرز مفاتنه ، وان لم يكن رقيقا شفافا ، كذلك الثياب التي رمتنا بها حضارة الجسد والشهوة — أعنى الحضارة الغربية — التي يتسابق مصمموا الأزياء فيها في تفصيل الثياب التي تبرز النهود والخصور والأرداف ونحوها ، بصورة تهيج الغرائز وتثير الشهوات الدنيا فلابساتها كاسيات عاريات أيضا ، وهي أشد اغراء وفتنة من الثياب الرقيقة الشفافة .

٤ — الا يكون مما يختص بلبسه الرجال كالبنطلون في عصرنا ، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهات من النساء بالرجال ، كما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، ونهى المرأة أن تلبس لبسة الرجل ، والرجل أن يلبس لبسة المرأة .

٥ — الا يكون لباسا يختص بلبسه الكافرات من اليهوديات والنصرانيات والوثنيات ، فان قصد التشبه بهؤلاء محظور في الاسلام الذى يريد لرجاله ونسائه التميز والاستقلال في المظهر والمخبر ، ولهذا امر بمخالفة الكفار في أمور كثيرة . ففي الحديث الشريف :
(من تشبه بقوم فهو منهم) .

● أن تلتزم — المرأة — الوقار والاستقامة في مشيتها وفي حديثها وتتجنب الاثارة في سائر حركات جسمها ووجهها ، فان التكسر والميوعة من شأن الفاجرات لا من خلق المسلمين . قال تعالى :

(فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض)

الأحزاب : الآية ٣٢ ..

● ألا تتعمد جذب انتباه الرجال الى ما خفى من زينتها بالعطور
أو الرنين أو نحو ذلك ، قال تعالى : (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن) .

فقد كانت المرأة في الجاهلية حين تمر بالناس تضرب برجلها ،
ليسمع قعقعة خلخالها فهي القرآن عن ذلك ، لما فيه من اشارة
لخيال الرجال ذوى النزعات الشهوانية ، ولدلالاته على نية سيئة
أدى المرأة في لفت انظار الرجال اليها والى زينتها .

ومثل هذا في الحكم : ما تستعمله المرأة من السوان الطيب
والعطور ذات الروائح الفاتحة ، لتستثير الغرائز ، وتجذب اليها
انتباه الرجال ، وفي الحديث الشريف : (أيها امرأة استعطرت فمرت
على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية) رواه أبو داود والترمذى ، وقال :
حديث حسن صحيح ، رواه النسائى ، وابن خزيمة وابن حبان في
صحيحيهما ، ورواه الحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

ثم يقول بعد ذلك ، صاحب كتاب (الحلال والحرام في
الاسلام) :

ومن هنا تعلم أن الاسلام لم يفرض على المرأة — كما يقول —
أن تظل حبيسة البيت ، لا تخرج منه الا الى القبر ، بل أباح لها
الخروج للصلاة ، وطلب العلم ، وقضاء الحاجات ، وكل غرض دينى
ودنيوى مشروع . كما كان يفعل ذلك نساء الصحابة ومن بعدهم
من خير القرون . وكان منهن من يخرج للمشاركة في القتال والغزو
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء والقواد .
وقد قال عليه الصلاة والسلام لزوجة سودة : (قد أذن الله لك أن
تخرجن لحوائجكن) رواه البخارى .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا استأذنت امرأة أحدكم
الى المسجد فلا يمنعها) . رواه البخارى .

وفي حديث آخر : (لا تمنعوا أماء الله مساجد الله) .
رواه مسلم .

● هذا ، ولما كان :

الزواج

بالنسبة للشباب المسلم — بصفة خاصة — : من أهم
الأسباب التي تعينهم على غض أبصارهم ، وتحصين فروجهم ،
تنفيذا لهذا الحق الأول من حقوق الطريق :

فقد رأيت أن أشير الى بعض الملاحظات الهامة المتعلقة
بالزواج حتى يتحقق الهدف المرجو منه ، وهو الذي أشار اليه
الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :

● (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه
أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فإنه له وجاء) .

رواه البخاري ومسلم واللفظ لهما ، وأبو داود ، والترمذي
والنسائي .

وقبل أن أقف معك على تلك الملاحظات ، إليك أولا شرح هذا
الحديث الذي سنستعين به على فهم تلك الملاحظات :

قال النووي :

(معناه : من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنثته وهي
مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنثه فعليه
بالصوم ليقطع شهوته ، ويقطع شر منيه كما يقطع الوجاء ، وعلى
هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء
ولا يتفكرون عنها غالبا) .

القول الثانى : ان المراد هنا بالباء مؤن النكاح ، سميت باسم ما يلزمها ، وتقديره : من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم .

قالوا : والعاجز عن الجماع لا يحتاج الى الصوم لدفع الشهوة ، فوجب تأويل الباء بالمؤن (١ هـ) .

●● وعلى هذا ، فانا نستطيع الآن — وبعد ان وقفنا على هذا الشرح الجامع — ان نشير الى تلك الملاحظات التى :

● اولها : انه يجب على الشباب الذى يستطيع الباء ان يسارع بالبحث عن الزوجة الصالحة التى تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن مواصفاتها فقال :

(ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة : ان امرها اطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله) .

رواه ابن ماجه عن على بن زيد عن القاسم .

ومعنى ، اطاعته : أى ، فيما لا معصية فيه لله عز وجل ، فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

وسرته : أى ، لا يقع نظره عليها الا ويحس بالسرور والفرح ، فهى دائمة الابتسامة نظيفة البدن جميلة الحركات . . .

وأبرته : أى ، ان حلف على شىء ان تفعله او لا تفعله أبرت يمينه ولم توقعه فى الحنث .

ونصحته فى نفسها : أى ، انها لا تخرج من بيتها ما دام غائبا الا لضرورة ، وان لا تسمح لاحد من الرجال بالدخول عليها ، وان لا توظف فراشه من يكره ، وان تكون على الحال التى يحبها منها .

ونصيحتها له في ماله : أن تجتهد في حفظه وتنميته ، وأن لا تنفق منه إلا بقدر حاجتها بلا تبذير وتقتير ...

تلك هي الزوجة الصالحة التي يجب أن يختارها الشاب الصالح .

وقد يتساءل الشاب الصالح ، وكيف العثور عليها ؟

فأقول له : أنك تستطيع العثور عليها في بيوت الصالحين والصالحات الذين يطبقون تعاليم الاسلام على انفسهم واهليهم بكل خسر واعتزاز .

وتستطيع العثور على هذا الرجل الصالح في بيت من بيوت الله ، ففي الحديث الشريف : (اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ...) . ففي المساجد ستلتقي بالمؤمنين الذين ان خالطتهم وسألتهم عن الزوجة الصالحة وجهوك أو زوجوك عندما يأمسون فيك الصلاح والاستقامة .

فقد يعرض احدهم عليك ابنته أو اخته ، ولا حرج في هذا :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تأييت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة . وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ممن شهد بدرا . فتوفي بالمدينة ، فلقيت عثمان بن عفان رضي الله عنه فعرضت عليه حفصة ، فقلت : ان شئت أنكحتك حفصة ؟ ! فقال : سأنظر في ذلك . فلبث ليل ، فلقيته ، فقال : ما أريد ان أتزوج يومى هذا ! قال عمر : فلقيت ابا بكر الصديق رضي الله عنه ، فقلت : ان شئت أنكحتك حفصة . فلم يرجع الى شيئا — أى لم يرد على السؤال — فكنيت عليه أوجد منى على عثمان — أى تأثرت منه أكثر من تأثرى من عثمان — فلبث ليل فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها اياه .

فلقيني ابو بكر فقال : لعلك وجدت على حين عرضت على

حفصة فلم أرجع اليك شيئاً الا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها — أى خطبها لنفسه — فلم أكن لأفشى سر رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو تركها فكحتها .

وقد حدث ذلك من شعيب عليه السلام ، كما قص علينا القرآن الكريم ، اذ عرض بنتيه على موسى عليه السلام :
(انى أريد أن أتكحك احدى ابنتى هاتين) :

وقد حدث ذلك من شعيب عليه السلام لما سمع احدى ابنتيه تذكر موسى بأعجاب اذ تقول : (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الأمين) فأدرك أنها أحبت فيه الجسم (القوى) وكمال الخلق (الأمين) .

ولما علم شعيب عليه السلام أن موسى عليه السلام فقير لا يملك مهراً ، ولا يجد عملاً لفراره من مدينته ، لما وكز فيها أحد الناس فخر مغشياً عليه ، فجعل — شعيب — مهر ابنته تعيين موسى عليه السلام في عمل معه يساعده (على أن تأجرنى ثمانى حجج . . .) — أى : على أن تعمل أجيراً عندى ثمان سنوات — (فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ، يستأجرنى ان شاء الله من الصالحين) . القصص : من الآية ٢٧ .

نفى هذه القصة استحياب مساعدة التقى الصالح فضلا عن عرض المرأة عليه لزواجه بها .

وفى الحديث الشريف : (اذا آتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه . الا تفعاوه تكن فتناة فى الأرض وفساد كبير) . رواه الترمذى .

لذلك زوج أبو حذيفة بنت أخيه لخادمه سالم . .

وزوج عبد الرحمن بن عوف (المغنى) أخته لبلال (الفقير) .

فليكن تركيزك أخا الإسلام على اختيار الزوجة الصالحة ،
ذات الدين واحذر التركيز على ذات المال أو الجمال فقط ، ففى
الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :

(تنكح المرأة ، على احدى خصال : لجمالها أو مالها
وخالقها ، ودينها ، فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك) .

رواه أحمد بإسناد صحيح والبزار ، وأبو يعلى ، وابن حبان
فى صحيحه .

قال القرطبى : (معنى الحديث : أن هذه الخصال الأربع هى
التي ترغب فى نكاح المرأة لأجلها فهو خبر عما فى الوجود من ذلك
لا أنه وقع الأمر بذلك ، بل ظاهرة إباحة النكاح لقصد كل من ذاك ،
لكن قصد الدين أولى) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ،
فاظفر بذات الدين تربت يداك) .

رواه البخارى ومسلم ، وأبو داود والنسائى ، وابن ماجه .
وقال صلى الله عليه وسلم :

(من تزوج امرأة لعزها ، لم يزد الله الا ذلا ، ومن تزوجها
لحسبها لم يزد الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يفض
بصره ، ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها ، وبارك
لها فيه) رواه الطبرانى فى الأوسط .

وقال صلى الله عليه وسلم :

(لا تزوجوا النساء الحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن (1) ،

(1) أى يجلب لهن الشقاء .

ولا تزوجوهن لاهوالهن فعسى أمواتهن أن تطغيهن (١) ، ولكن تزوجوهن
على الدين ، ولأمة خرماء (٢) سوداء ذات دين أفضل) .

رواه ابن ماجه عن طريق عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم .

● فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وركز كما أوصاك الرسول
صلى الله عليه وسلم على ذات الدين ، وعندما ستعثر عليها استشر
أقرب الناس إليك . . .

فإن وافقوا ، أرسل والدتك ، أو امرأة أمينة لتتعرف عن
حالتها لعل فيها عيبا يكون مستترا .

ثم بعد ذلك لك أن تسأل بعض من يختلط بعشيرتها من جيران
واقارب عن أصلها وسلوكها ، ثم لك أن تنظر بعد ذلك في حضور
محارمها الى وجهها وكفيها فقط .

ثم بعد ذلك من السنة — أن وجدت فيها سعادتك — : أن
تستخير الله سبحانه وتعالى ، وكيفية الاستخارة الشرعية :

أن تصلى ركعتين من غير الفريضة ثم تقول :

(اللهم انى استخيرك (٣) بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من
فضلك العظيم لئانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام
الغيوب . اللهم ان كنت تعلم هذا الأمر (٤) خسر لى فى دينى
ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجاله (٥) فاقدره لى

(١) أى تزيدهن طغيانا وتجبرا .

(٢) أى شقت أذنهما عرضا .

(٣) أى اطلب منك الخيرة أو الخير .

(٤) يسمى حاجته هنا .

(٥) يجمع بينهما .

ويسره لي ثم بارك أي فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر أي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم ارضني به)
قال :

ويسمى حاجته : أي يسمى حاجته عند قوله :

(اللهم ان كان هذا الأمر) .

رواه البخاري .

فإن كنت الاستخارة خيرا :

فلك أن تقدم بعد ذلك (شبكة) غير مغال فيها ، ومن قبيل الهدايا التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها :
(تهادوا تحابوا) من رياض الصالحين للإمام النووي .

وإذا ما انشرح صدرك للزواج فأنك تستطيع أن تتفق مع أهلها على المهر والزفاف على أساس شرعي لا غلو فيه ولا فسوق ...

● وإذا لم تستطع البقاء فعليك بما أوصاك به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو الصوم ، فإنه لك وجاء أي مضعف لشهوتك فضلا عن الثواب الجزيل :

وحسبك أن تعود نفسك على صيام الاثنين والخميس . ففى الحديث الشريف :

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عمالي وأنا صائم) .

رواه الترمذي وقال حديث حسن ، ورواه مسلم بغير ذكر

صوم .

وحسبك كذلك ان تصوم ثلاثة أيام من كل شهر ، والأفضل
صومها في أيام البيض ، وهى : الثالث عشر ، والرابع عشر ،
والخامس عشر ، وقيل : الثانى عشر ، والثالث عشر ، والرابع
عشر (١) . والصحيح المشهور هو الأول .

ففى الحديث الشريف :

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (اذا صمت من الشهر ثلاثا فصم ثلاث عشرة ، وأربع
عشرة ، وخميس عشرة) . رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وفى الحديث :

عن قتادة بن ملحان رضى الله عنه قال : (كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم : يأمرنا بصيام أيام البيض : ثلاث عشرة ، وأربع
عشرة ، وخميس عشرة) — رواه أبو داود .

وفى الحديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (أوصانى خليلى صلى الله
عليه وسلم بثلاث : صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتى
الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام) متفق عليه .

وفى الحديث :

عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : (أوصانى حبيبى صلى
الله عليه وسلم بثلاث أن أدعهن ما عشت : بصيام ثلاثة أيام من
كل شهر ، وصلاة الضحى ، وبأن لا أنام حتى أوتر) .
رواه مسلم .

والصيام كما يقول الامام الغزالى رحمه الله :

(١) راجع رياض الصالحين : باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر .

(الصيام زكاة النفس ، ورياضة الجسم ، وداع اللذات ، فهو للانسان وقاية وللجماعة صيانة ، في جوع الجسم صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ، ويعمي القلب ، ويكثر البخار في الدماغ ، فيتولد الزهيم ، والصبى اذا ما كثر أكله بطل حفظه ، وفسد ذهنه ، أحيوا قلوبكم بقلة الضحك ، ولقة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وشرق) .

وكما يقول الامام محمد عبده رحمه الله :

ان الصوم يحدث لصاحبه ملكة المراقبة لله تعالى والحياء منه سبحانه ، وفي هذه المراقبة أكبر معد النفوس ومهى لها السعادة في الآخرة والاستقامة في الدنيا .

انظر هل يقدم من صدق مع الله في صومه وراقبه فيه مخلصا على غش الناس ومخادعتهم ؟ هل يسهل عليه أن يراه الله آكلا لأهوالهم بالباطل ؟ هل يحتال على الله من منع الزكاة ؟ أم هل يحتال على أكل الربا ؟ هل يقترب المنكرات جهارا ، أو يسدل بينه وبين الله في المعاصي ستارا ؟

كلا ان صاحب هذه المراقبة لا يستترسل في المعاصي ، إذ لا يطول أمد غفلته عن الله ، واذا نسي وألم بشيء منهما كان سريع التوبة قريب الأوبة :

(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) . الأعراف : ٢٠١ .

●● والآن أخا الاسلام ، وبعد أن وقفت على الأسس التي كان لابد أن تقف عليها حتى تغض بصرك كما أمرك الله وأمر أختك المسلمة في سورة النور :

فتمد رأيت — كذلك — وقبل أن انتقل الى الحق الثانى من حقوق

الطريق : ان اذكرن كذلك بضرورة شكر الله تعالى شكرا ايجابيا
على نعمة البصر ، فإليك :

● روى جابر رضى الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم :
(رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج)
وقال صلى الله عليه وسلم : (ان المرأة اذا أقبلت ، أقبلت بصورة
شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فأياها أهله ، فان معها مثل
الذى معها) .

رواه مسلم ، والترمذى واللفظ له وقال : حسن صحيح .

● وعن سعيد بن المسيب ، قال : ما بعث الله نبيا فيما خلا
الا لم يئأس ابليس أن يهلكه بالنساء ، ولا شيء أخوف عندي منهن .
وما بالمدينة بيت أدخله الا بيتى وبيت ابنتى ، أغتسل فيه
يوم الجمعة ، ثم أروح .

● وقال بعضهم : ان الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندى ،
وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطيء ، وأنت موضع سرى ،
وأنت رسولى فى حاجتى .

● وقيل ليحيى عليه السلام : ما بدء الزنا ؟ قال : النظر
والتمنى .

● وقال سعيد بن جبیر : انما جاءت الفتنة لداود عليه السلام
من قبل النظرة ، ولذلك قال لابنه عليه السلام : يا بني ، امش خلف
الأسد والأسود ، ولا تمش خلف امرأة .

● وقال الفضيل : يقول ابليس ، هو قوسى القديمة ، وسهمى
الذى لا أخطيء به . يعنى النظر .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، واحذر النظر الى النساء

والاختلاط بهن سواء كان هذا في الطريق أو في أى مكان آخر ، حتى لا تهلك .

وإذا أردت أن تمتع ناظريك وتأخذ ثوابا على هذا : فانظر الى ما أحل الله لك — كالزوجة مثلا — فهي خير متاع ، كما يشير حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه :

(الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة) .

رواه مسلم والنسائى .

أما غيرها من المحارم ، فهي الشر المستطير ، غفى الحديث الشريف :

(لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط (١) من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) .

رواه الطبرانى والبيهقى ورجاله رجال الصحيح .

● و (. . انظر الى السماء وارتفاعها ، والأرض واقطارها ، والبحار وأهواجها والأوقات وأتيانها ، والفصول وأزمانها ، وانظر الى ما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر ، وانظر الى المستيقظ والراقد والراكع والساجد . . .) من حديث قدسى .

● و :

تأمل سطور الكائنات فانها
من الملأ الاعلى اليك رسائل

وقد خط فيها — أو قرأت — سطورها
الا كل شيء ما خلا الله باطل

(١) كالابرة والمسلة .

• و :

تأمل في نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
فصون من لجين شاختات
بأبصار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

• و :

تأمل في الوجود بعين فكر
تري الدنيا الدنية كالخيال
وكل من عليها سوف يفنى
ويبقى وجه ربك ذي الجلال

• و :

شرد النجوم عن جفونك وانظر
حكمة توقظ النفوس النياما
فحرام على امرئ لم يشاهد
حكمة الله أن يذوق المناما

• و :

تبصر إلى حيث كان لك التبصر
وفي ذات الاله دع التفكير
وأن ترد المهيمن حين تذكر
تأمل في نبات الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
فأنوار المهيمن ساطعات
وأفكار الخلائق حائرات

ولكن الأدلة واضحة
أصول من لجين (١) زهرات
على أغصانها ذهب سبيك
شموس في البرية مشرقات
نجوم في الدياجي لامعات
بطول الدهر دوماً سابحات
إلى ما ليست أدري طائرات
يطير بها الجرم السميك
رياض مونتقات منعشات
والوان لعينيك مدهشات
وأغصان تسرك ناضرات
على قضيب الزبرجد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

وحسبك يا أخى إذا أردت أن تكون من أولى الألباب :
(... الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في
خلق السموات والأرض) ثم يقولون : (ربنا ما خلقت هذا باطلاً
سبحانك فقنا عذاب النار) . آل عمران : الآية ١٩١ .
حسبك : أن تتأمل في أصغر مخلوق من مخلوقات الله سبحانه
وتعالى ، وليكن هو النملة التي بهرت على ابن أبي طالب رضي الله
عنه بنظامها ، ودقتها ، وكفاحها ، وصبرها ، فقال :

● (انظروا إلى النملة في صغر حجمها ولطاقة هيئتها ،
لا تكاد تنال بلحظ البصر ، ولا بمستدرك الفكر ، كيف دبت على
أرضها ، وحنت على رزقها تنقل الحبة إلى جحرها ، وتعدها في
مستقرها . تجمع في حرها لبردها ، وفي ورودها لصدرها ، مكفولة

(١) أي الفضة .

برزقها ، مرزوقة بوقفها ، لا يغفلها المنان ، ولا يحرمها الديان ولو
في الصفا (١) اليابس والحجر الجامس (٢) لو فكرت في مجارى أكلها .
في علوها وسفلها . وما في الجوف من شراسيف (٣) بطنها ، وما في
الرأس من عينها وأذننها . اقضيت من خلقها عجباً ، واقيت من
وصفها تعباً . فتعالى الذى أقامها على قوائمها ، وبنسائها على
دعائمها . لم يشركه في فطرته فاطر ، ولم يعنه في خلقها قادر) .

نعم : حسبك أن تتأمل في تلك النملة الدقيقة الصنع ، وتذكر
ما كان منها يوم أن شعرت بسليمان وجنوده على بعد ثلاثة أميال
من وادى النمل ، ثم قالت :

● (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون) النمل : الآية ١٨ .

قال العلماء : هذا القول ، اشتمل على أحد عشر نوعاً من
البلاغة .

أولها : النداء بيا ، ثانيها : لفظ أى ، ثالثها : ها التنبيه ،
رابعها : التسمية بقولها : النمل ، خامسها : الأمر بقولها : ادخلوا ،
سادسها : التخصيص بقولها مساكنكم ، سابعها : التحذير بقولها :
لا يحطمنكم ، ثامنها : التخصيص بقولها : سليمان ، تاسعها :
التعميم بقولها : وجنوده ، عاشرها : الإشارة بقولها : وهم ،
حادى عاشرها : العذر بقولها : لا يشعرون .

وكانت هذه النملة كما يقولون عرجاء ذات جناحين ، وهى من
جملة الحيوانات العشرة التى تدخل الجنة ، وهى :

(١) الحجر الامس .

(٢) أى الجامد .

(٣) جمع شرسوف ، وهو طرف الصلح المشرف على البطن .

● براق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● وهدد بلقيس .

● ونملة سليمان ، عليه السلام .

● وعجل ابراهيم ، عليه السلام .

● وكبش اسماعيل ، عليه السلام .

● وبقرة بنى اسرائيل .

● وحمار العزيز ، عليه السلام .

● وكلب اهل الكهف .

● وناقطة صالح ، عليه السلام .

● وحيوت يونس ، عليه السلام .

وروى أن سليمان عليه السلام قال لهذه النملة — عندما ذهبت اليه لتشكره — لم حذرت النمل ، أخفت من ظمى ، أما علمت أنى نبي عدل ؟ فقالت له : أما سمعت قولى وهم لا يشعرون ، مع أنى لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتنن بالدنيا ويشغلن بالنظر إليك عن التسبيح والذكر .

● ثم بعد أن تكلمت مع سليمان — كما يقول الصاوى على الجلالين مضت مسرعة الى قومها ، فقالت : هل عندكم من شيء نهديه الى نبي الله ؟ قالوا : وما قدر ما نهدي له ، والله ما عندنا الا نبقة واحدة ، فقالت : حسنة اثقونى بها ، فأتوها بها ، فحملتها بفيها وانطلقت تجرها ، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والانس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه ، وأنشأت تقول :

الم ترنا نهدي الى الله ماله
وان كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدي للجليل بقدره
لاقصر عنه البحر يوما وساحله
ولكننا نهدي الى من نحبه
فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الا من كريم فعاله
والا فما في ملكنا ما يشاكلة

فقال لها : بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اشكر خالق
واكثر خالق الله .

● ثم يقول الصاوي رحمه الله : والذمل حيوان معروف ثم
الاحساس والشم حتى انه يشم الشيء من بعيد ، ويدخر قوته
ومن شدة ادراكه انه يفلق الحبة فلقطين خوفا من الانبات ، ويح
حبة الكريزة اربع فلاقات لانها اذا فلقت فلقطين ثبتت .

وياكل في عامه نصف ما جمع ، ويستبقى باقيه عدة .

● ويقول آخر (١) في حديثه أيضا عن النملة :

ان لها مع اخوانها بيوتا تحت الأرض ، تعج بالأعمال والعم
وتزرع وتحصد ، وترعى بعض الحشرات لتربيتها وتكثيرها !

انها تخزن في الصيف ، ما تحتاج اليه في الشتاء ، وتتر
طلوع الشمس فتعرض ما خزنته للحرارة : فهل أدركت أن الرط
تفسده ، فعرضته للشمس ؟ وتخسر الحب حتى لا تثبت
ما لامسته الرطوبة ، فمن الهما ذلك ؟

(١) وهو الاستاذ عبد الجواد رجب ، في كتابه : مع الله .

النملة عين واذن وبطن ورأس وقوائم وخلايا عديدة ، فكيف تكونت بهذه الدقة المتناهية والبراعة الفائقة ؟! انها على صغرها تأتي من الاعمال والصبر والكفاح في سبيل الوصول الى غرضها ما يضرب به المثل ، ويحير اذكى الاذكاء .

ويكفى في صبرها وكفاحها ما يقوله عنها القائد (تيمور لnk)
المغولي : (علمتني الثبات في مواقف الصعوبات) ! .

اجل ! فقد هزم في معركة يئس منها بعد كفاح مرير عنيف .
وبينما هو جالس يفكر في المصير المظلم ، رأى على مقربة منه نملة تحمل عبئا ثقيلا ، وتحاول الصعود على شجرة ، وهي تبذل في ذلك الجهد الجهد ، وكلما ارتفعت جزءا من الجزع سقطت ، وتحاول وتحاول الكرة بعد الكرة ، وفي المرة العاشرة وصلت بحملها الثقيل سالمة الى هدفها المنشود .

وكان درسا قيما (لتيمور لnk) فعاد وجمع فلول جيشه ،
وحارب الأعداء وكسب المعركة ..

●● فهذه جولة صغيرة حول نملة ، فما بالك لو درنا دورة مثلها نحو نحلة ، أو حول مخلوق من تلك المخلوقات الضخمة ..

● أو حول قول الله تعالى في سورة عبس :

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٦﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٧﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٨﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ﴿٢٩﴾ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ﴿٣٠﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣١﴾ وَفَيْكِهِمَّ وَآبَاءَ ﴿٣٢﴾ مَتَّعْنَاكُمْ وَلِيَنْعَمَ كُمْ ﴿٣٣﴾

● أو حول قوله تعالى في سورة الطارق :

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿١﴾
خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٢﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٣﴾ إِنَّهُ عَلَى
رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٤﴾ يَوْمَ تُبْطَلُ السَّرَائِرُ ﴿٥﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿٦﴾

● أو حول قوله تعالى في سورة الغاشية :

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ ﴿١﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٢﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٣﴾
وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤﴾

●● ان الكتاب اذن لن يتسع لشرح كل هذا ، ولهذا :
فحسبك ان تتأمل في نفسك حتى تشغل من كل هذه النظرات
الخبیثة ، حسبك : ان تفكر في جارية واحدة من جوارحك ، ولتكن ،
هى :

العین

وهى كما يقول ايضا صاحب كتاب مع الله . . تحت عنوان ،
(الكاميرا) الربانية .

هذه اللؤلؤة المكنونة ، والدرة المصونة ، فى علبة رقيقة ثمينة
من جفنين وهدب ورمشين تحفظها من الغبار ، وتذود عنها
الشمس !!

هذه (الكاميرا) الربائية التي دونها : (كاميرات) المصورين
جميعا اذ تستقبل من المناظر والمشاهد الملايين والملايين ، وكيف
لا تفوقها جميعا وهي من صنع المصور الأعظم ؟ !

من جعل ماءها المطهر لها ملحا ، بينها جعل ماء الأذن مرا ،
وماء الأنف حامضا ؟ !

من نوع ذلك وهو في الأصل واحد أيها الطبيعويون ؟ !

ان العين تستقبل المنظور معكوسا ، يحوله عصبها الى المخ
بأمانة معكوسا أيضا ، وبسرعة عجيبة ، يأتي دور المخ القائد ،
فيعيده الى وضعه الطبيعي فتراه العين طبيعيا .

فهل حدث أن رأت العين مرة واحدة منظورا مقلوب الوضع أو
منحرفا ، لم يحدث ذلك ، ولن يحدث ، ولم ذلك ؟ لأن المنعم الذي
تفضل وأعطى ذو قدرة قادرة ، وحكمة باهرة !!

لو أعطيت مليوننا من الجنيهاات أو أكثر ثمننا لتلك الجوهرة ،
الا تبخل بها مع ارتفاع السعر ارتفاعا خياليا ؟ !

وسبحانه من تلهج النفوس له ثناء وتقديسا ، وتعنو الوجوه
له تعظيما وتمجيذا :

تا الله لو سجدنا بالعيون له
على شبا (١) الشوك والمحى من الأبر
لم تبلغ العشر من معشار نعمته
ولا العشر ولا جزءا من العشر

فيا عجبا : كيف يعصى الاله
وكيف يجحد الجاحد !

(١) شبا الشوك : أطرافه .

وفي كل شيء لله آية
تدل على أنه الواحد !
إذا تدبرت آياته
فأنت — هو العابد الساجد !
وأما تشهد نعماءه
فأنت هو الوالد الواحد !

●● وفي نهاية هذا العرض السريع لأهم عناصر هذا الحق الأول من حقوق الطريق الذي ركزت عليه — كما رأيت — في ثلثي الكتاب لأهميته :

أرى من الخير لي ولك : أن أذكرك بوصية عظيمة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيها لأبي ذر رضي الله عنه :
● (انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك ، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك) .

من حديث رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

وإذا أردت أن أوضح لك بعض أبعاد هذه الوصية التي تحتوى على أسباب السعادة في الدارين :
فحسبني أن أقول لك :

أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا جميعا بالرضى بما قسم الله سبحانه وتعالى لنا حتى نكون من الأغنياء حقا ، وقد ورد في هذا عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال :

● (ليس الغنى عن كثرة العرض (١) ، ولكن الغنى غنى النفس) رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود والترمذي والنسائي

(١) أي حطام الدنيا .

وقال صلى الله عليه وسلم :

● (قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه) .

رواه مسلم والترمذى وغيرهما .

وقال صلى الله عليه وسلم :

● (طوبى لمن هدى للإسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع) .

رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال :

صحيح على شرط مسلم .

وخلاصة هذا أنك إذا نظرت الى من هو تحتك فى الرزق
ستشعر بالنعمة التى أنت فيها ، لأنك سترى أنك أغنى من الذى
يقل عنك مالا .

أما إذا نظرت الى من فوقك فى الرزق فانك ستحتقر نعمة
الله عليك ، وستكون بسبب ذلك مهموما ومحزوناً . .

ومهما أعطاك الله تعالى من المال ، لأنك بهذا ستصاب بداء
الطمع الذى هو الفقر الحاضر ، كما يشير حديث الرسول صلى الله
عليه وسلم الذى يقول فيه :

● سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : أتى النبى صلى الله
عليه وسلم رجل ، فقال يا رسول الله : أوصنى وأوجز ، فقال النبى
صلى الله عليه وسلم :

(عليك باليأس مما فى أيدى الناس ، وإياك والطمع فانه فقر
حاضر ، وإياك وما يعتذر منه) .

رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب الزهد واللفظ له ، وقال الحاكم
صحيح الإسناد .

●● وإذا كنت من هواة النظر الى أعلى فانظر الى من فوقك
في العلم ، فهذا خير عظيم سترتفع به الى أعلى المراتب .

● قال ابن دريد :

العلم مبلغ قوم ذروة الشرف
وصاحب العلم محفوظ من التلف

يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه
بالموبقات فما للعلم من خلف

العلم يرفع بيتا لا عماد له
والجهل يهدم بيت المجد والشرف

* * *

وكفى بالعلم شرفا وفخرا ان الله تعالى وصف به نفسه ومنح
به أنبياءه ، وخص به أوليائه ، وجعله وسيلة الى معرفته وسببا
الى الحياة الأبدية والنجاة من الشقاوة السرمدية . والفوز
بالسعادتين (الدنيوية والأخروية) وجعل العلماء تلو ملائكته في الاقرار
بربوبيته والاختصاص بمعرفته وورثة الأنبياء .

فالعلم اشرف ما ورث عن اشرف موروث وكفاك دليلا على
شرفه قوله تعالى :

● (.. انما يخشى الله من عباده العلماء ..) .

فاطر : الآية ٢٨ .

● (وما يعقلها الا العالمون) . العنكبوت : الآية ٤٣ .

● (.. هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

الزمر : الآية ٩ .

وحتى تعرف قيمة العلم وأهميته فتحسبك أن تقرأ معي كذلك
هذه النصوص الموضوعية :

● قال علي رضي الله عنه :

(العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ،
والمال تفنيه النفقة ، والعلم يزكو على الاتفاق . العلم يكسب
صاحبه الطاعة للرب في حياته ، وجميل الأحدثة بعد وفاته . ومنفعة
المال تزول بزواله . العلم حاكم والمال محكوم عليه . مات خزان
المال وهم أحياء . والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ،
وأمثالهم في القلوب موجودة) .

● ومن كلام افلاطون :

(اطلب العلم تعظمك الخاصة ، واطلب الزهد يعظمك الجميع .
والعلم كل أحد يؤثره ، والجهل ضده وكل أحد يكرهه وينفر منه) .

● وجاء عن عبد الملك بن مروان لبنيه :

يا بني تعلموا العلم ، فإن كنتم سادة ففقم ، وإن كنتم وسطا
سدتم ، وإن كنتم عامة عشتم .

● وقال أبو الأسود الدؤلي :

العلم زين وتشريف لصاحبه
فاطلب هديت فنون العلم والأدب
ومقبرف حامل الإساء ذى أدب
كانوا الرؤوس فأمسى بعضهم ذنبا
كم سيد بطيل آباؤه نجب
نال المعالي بالآداب والرتبا
العلم كنز ونخر لا فناء له
نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

قد يجمع المال شخص ثم يحرمه
عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبدا
ولا يحاذر منه القوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه
لا تعدلن به دارا ولا ذهبيا

● وقال بعضهم : ان العلم قبس من نور الله ، وقد خلق الله
النور كشفا مبصرا ولادا للحرارة والقوة وجعل العلم مثله وضاحا
للخير ، مضاحا للشر ، يولد في النفوس حرارة وفي الرعوس شهامة .
● وقال الامام الشافعي رضي الله عنه :

ليس بعد الفرائض افضل من طلب العلم فهو نور يهتدى به
الحائز

● فاذكر كل هذا اخا الاسلام واطلب العلم من المهـد
الى اللحد وحسبك قول الله تعالى لا علم خلقه صلوات الله وسلامه
عليه :

● (وقل رب زدني علما) . طه : الآية ١١٤ .

وقوله تعالى لجميع خلقه :

● (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) .

الاسراء : الآية ٨٥ .

كف الذوق

●● وإذا كنت أخا الاسلام سآدور معك — كذلك — حول
هذا العنصر الثانى ، من حق الطريق أو حقوقه ، وهو :

كف الأذى

فحسبى أولا أن أذكرك بموضوع حيوى يرتبط ارتباطا وثيقا
بهذا العنصر الهام ، ألا وهو :

الحياة

بدليل الحديث الشريف المتفق عليه الذى يقول فيه أبو هريرة
رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

● (الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع (١) وستون شعبة :
فأفضلها قول لا اله الا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ،
والحياء شعبة من الإيمان) .

فالحياة كما هو واضح فى هذا الحديث الصحيح : أهم شعبة
من شعب الإيمان ، ولهذا ، كان هو الخير كله ، أو هو كل الخير ،
كما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه مسلم ، والذى يقول فيه
صلوات الله وسلامه عليه :

● (الحياء خير كله) .

وحسبك أن تعلم أن الحياء هو خلق الاسلام ، ففى الحديث
الشريف الذى رواه مالك يقول صلوات الله وسلامه عليه :

● (أن لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء) .

(١) البضع بكسر الباء ، ويجوز فتحها : وهو من الثلاثة الى العشرة ،
والشعبة : القطعة والفصلة . والإمطة : الإزالة . والأذى : ما يؤذى ، كحجر
وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك .

●● وحتى تعرف أهمية الحياء ، وتذكر كذلك ضرورته ،
إليك هذه الأحاديث الشريفة :

● عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال :
(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — أشد حياء من العذراء في
خدرها ، وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه) .

رواه مسلم .

● وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : (ما كان الفحش في شيء إلا شأنه ، وما كان الحياء في
شيء إلا زانه) رواه ابن ماجه ، والترمذي ، وقال : حديث حسن
غريب .

● وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم :

(الحياء والإيمان قرناء جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) .

رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ورواه
الطبراني في الأوسط .

● وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : (الحياء لا يأتي إلا بخير) رواه البخاري ومسلم .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء (١)
من الجفاء ، والجفاء في النار) رواه أحمد ، ورجاله رجاله الصحيح ،
والترمذي وابن حبان في صحيحه ، وقال الترمذي حديث : حسن
صحيح .

(١) البذاء : هو الفحش في الكلام .

● وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(مكارم الأخلاق عشرة : تكون في الرجل ولا تكون في ابنه ، وتكون في الابن ولا تكون في أبيه ، وتكون في العبد ولا تكون في سيده
يقتسمها الله لمن شاء من عباده :

صدق الحديث ، وصدق الناس ، وأن لا يتشبع وجاره وصاحبه
جائعان واعطاء السائل ، والمواساة بالنسائل ، والمكافاة
بالصنائع (٢) ، وحفظ الأمانة ، وصلة الرحم ، والتذمم (٣) للجار ،
وقرى (٤) الضيف ، ورأسهن الحياء) .

● وكذلك اليك هذه الآثار التي قراتها في كتاب (أدب الدنيا
والدين) لأبي الحسن البصري رحمه الله :

● قال بعض الحكماء : من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس
عيبه .

● وقال بعض البلغاء : حياة الوجه بحيائه كما أن حياة
الفرس بمائه .

● وقال صالح بن عبد القدوس :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير في وجه قبيد قل حياؤه
حياءك فاحفظه عليك وانما
يدل على فعل الكريم حياؤه

● وقال الرياشي : يقال أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه
كان يتمثل بهذا الشعر :

(١) الصنائع : جمع صنعة . بمعنى المعروف .

(٢) أي رعاية حرمة .

(٣) قرى الضيف : أي إكرامه .

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها
جعلتها التي أخفيت عنـوانا
واننى لأرى من لا حياء له
ولا أمانة وسسطا لقوم عريانا

● وقال حكيم آخر :

ورب قبيحة ما حال بينى
وبين ركوبها الا الحياء
اذا رزق الفتى وجهها وقاحها
تلقب فى الامور كما يشاء

● وقال بعض الشعراء :

وانى ليثني عن الجهل والخناس
وعن شتم ذى القربى خلائق اربع
حياء واسلام وتقوى واننى
كريم ومثلنى من يضر وينفع

●● ومن اجل ذلك كان الأساس فى كف الأذى ، هو الحياء .

ولهذا فقد ورد عن أبى مسعود بن عقبة بن عمرو الأنصارى
البرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، اذا لم تستح
فاصنع ما شئت) .

رواه البخارى .

ففى هذا الحديث اعلام بأن الحياء من قضايا النبوة المجمع
عليها .

وقد قال أحد العلماء الاعلام فى شرحه : معناه ، اذا أردت

فعل شيء فان كان مما لا يستحي من الله في فعله غافله والا فلا . اه .

فصيغة الأمر للإباحة ، ويحتمل أنها للتهديد على حد قول بعضهم :

إذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقنا
وتستح مخلوقا فما شئت فاصنع

وفي كتاب (أدب الدنيا والدين) يقول بغد ذكر هذا الحديث :
وليس هذا القول اغراء بفعل المعاصي عند قلة الحياء كما توهمه
بعض من جهل معانى الكلام ، ومواضع الخطاب .

وفي مثل هذا الخبر قول الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة اللىالى
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خـير
ولا الدنيا اذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقى اللحاء (١)

ثم يقول : واختلف أهل العلم فى معنى هذا الخبر ، فقال
أبو بكر بن محمد الساسى فى أصول الفقه معنى هذا الحديث أن من
لم يستحي دعاه ترك الحياء الى أن يعمل ما يشاء لا يردعه عنه
رأع ، فليستحي المرء فان الحياء يردعه .

ويقول : وسمعت من يحكى عن أبى بكر الرازى من أصحاب
أبى حنيفة أن المعنى فيه : اذا عرضت عليك أفعالك التى هممت
بفعلها فلم تستحي منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها :
فجعل الحياء حكما على أفعاله ، وكلا القولين حسن والأول أشبه

(١) اللحاء : أى قشرة العود .

لأن الكلام خرج من النبي صلى الله عليه وسلم مخرج الذم لا مخرج الأمر ، لكن قد جاء الحديث بما يضاهي القول الثاني ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : (ما أحببت أن تسمعه أذنك فاته ، وما كرهت أن تسمعه أذنك فاجتنبه) .

ويجوز أن يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكون التأويل الأول في الحديث المتقدم أصح : إذ ليس يلزم أن تكون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها متفقة المعاني ، بل اختلاف معانيها أدخل في الحكمة وأبلغ في الفصاحة إذا لم يضاد بعضها بعضا .

●● ثم يقول : واعلم أن الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه :

أحدهما حياؤه من الله تعالى ،
والثاني : حياؤه من الناس ،
والثالث : حياؤه من نفسه .

● فأما حياؤه من الله تعالى : فيكون بامتنال أو امره والكف عن زواجه . ففي الحديث الذي روى عن ابن مسعود رضي الله عنه يقول صلوات الله وسلامه عليه : (استحيوا من الله عز وجل حق الحياء ، فقل يا رسول الله : فكيف نستحي من الله حق الحياء ؟ قال : من حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا ، وذكر الموت والبلى : فقد استحيا من الله عز وجل حق الحياء) .

● وأما حياؤه من الناس : فيكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالتبجح ، ففي الحديث روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من تقوى الله انتقاء الناس) . وروى أن حذيفة بن اليمان أتى الجمعة فوجد الناس قد أنصرفوا فتنكب الطريق عن الناس وقال : لا خير فيمن لا يستحي من الناس .

وقال بشار بن برد :

ولقد أصرف الفؤاد عن الشئ
ء حياء وحبه فى السـواد
أمسك النفس بالعفـاف وأمسى
ذاكرا فى غد حديث الأعـادى

● وأما حياؤه من نفسه : فيكون بالعفة وصيانة الخلوات .
قال بعض الحكماء ليكن استحيائك من نفسك أكثر من استحيائك
من غيرك . وقال بعض الأدباء : من عمل فى السر عملا يستحى منه
فى العلانية فليس لنفسه عنده قدر .

ودعا قوم رجلا كان يآلف عشرتهم فلم يجبههم وقال : انى دخلت
البارحة فى الأربعين وأنا أستحى من سنى .

وقال بعض الشعراء :

فسرى كاعـلانى وتلك خليقتى
وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا

فهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن
السريرة ، فمتى كمل حياء الانسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت
فيه أسباب الشر ، وصار بالفضل مشهورا ، وبالجميل مذكورا .

●● وعلى هذا الأساس ، فاننا نستطيع الآن وبعد هذا
التقديم عن الحياء : أن نتحدث عن الأمراض الأخلاقية التى تحدث
فى الطرقات ، والتى ما كانت الا لحرمان هؤلاء المبتلين بها من
الحياء .

وقبل أن أبدا فى استعراض بعض هذه الأمراض الأخلاقية
والتعليق عليها : أحب أولا أن أوضح المعنى المراد من كلمة
(حياء) ، لأننا قد نحتاج الى معرفة هذه المعانى فى محاولة
الوصول الى معالجة لهذه الأمراض ، فأقول :

● الحياء بالمد ، خلق يبعث على ترك القبيح ، وفعل المليح ، ينشأ من علم القلب بأن الله رقيب عليه فيحفظ ظاهره وباطنه ، من مخالفة الأحكام ، ويستتبع ما صدر من الهفوات التى تباعد عن دار السلام .

● وفى رياض الصالحين يقول : قال العلماء : حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ومنع التقصير فى حق ذى الحق .

● ويقول : وروينا عن أبى القاسم الجنيد رحمه الله قال : الحياء رؤية الآلاء أى النعم ، ورؤية التقصير ، فيتولد بينهما حالة تسمى حياء ، والله أعلم .

●● فالحياء اذن كما رأيت : خلق كريم : يجعل المتخلق به محمودا لا مذموما .

ونستطيع أن نقول الآن :

● انه ليس من الحياء الآن — وبعد الآن — : أن نرى أحد هؤلاء الذين لا اخلاق لهم ، وقد جلس امام مقهى ، أو حانوت واضعا ساقه على الأخرى ، وهو يرفع صوته بتلك الالفاظ الرخيصة ، والتعليقات النابية التى يغازل بها كل فتاة أو سيدة تمر امامه ، دون خجل أو خوف من الله .

وحسب هذا العابث المستهتر أن يعام انه بهـذا التصرف الرخيص يؤكد انه ليس رجلا بالمعنى الصحيح ، لأنه لو كان رجلا بهذا المعنى المشار اليه ، لعلم أن الرجولة تحتم عليه أن يحترم غيره من الناس ، وان لا يكون مؤذيا لبناتهم وزوجاتهم بتلك التعليقات المؤسفة .

وحسبه كذلك أن يقرأ هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم :

قال : (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء) .

رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .

والبذيء : هو الذى يتكلم بالفحش وردىء الكلام .

وعن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم ، فقال : (البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) .
رواه مسلم .

وعن أبى ذر جندب بن جنادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) .

رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وروى الترمذى عن عبد الله بن المبارك رحمه الله فى تفسير حسن الخلق ، قال ، هو :

طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

● وليس من الحياء : أن نرى رقيقاً آخر يضيق على فتاة أو سيدة فى عرض الطريق أو فى ركن من أركانه ، دون مراعاة لنظرات المارة اليه .

ولولا خشيته من رجال الشرطة ، أو من بعض المارة الذين قد تثور ثائرتهم أن استغاثت الفتاة : لافترسها كما يفترس الذئب الشاة .

وقد حدث ذات يوم : وأنا اخترق طريقاً — من باب اللوق الى ميدان التحرير — فى منتصف النهار : أن رأيت ذئباً من هؤلاء

الذئاب يضيق على فتاة بصورة جعلتها تستغيث ، فما كان أن أسرعت الخطى ، وكلت ثورة ايمانية ، وأمسكت بتلابيب الرقيع ، وأنا أقسم اننى لابد أن أسوقه الى (الشرطة) ثم بعد أن كان يتظاهر بأنه (شمشون) يبدو أمامى وأمام المار تجمعوا وكأنه غار صغير .

ومن المؤسف أن بعض المارة بالاضافة الى اقاربه من الحى ، قد استطاعوا أن يخلصوه من يدى بعد أن تعهدوا ، وبعد أن صفعته على وجهه .

ولا أكون — مزكيا لنفسي — أن قلت اننى قد لقنتهم - درسا فى الاخلاق ، خلاصته أن رقيعا كهذا خطر علينا جميع بناتنا ونسائنا ، وأنه ليس من الدين أن نسمح بمثل هذا الأخلأقى وذكرتهم بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(اذا فشى فيكم المنكر والم تغيروه ، يوشك أن يعم الله الكل)

فما كان من أحدهم أن قاطعنى قائلا :

انا معك فى كل ما قلته ، وفى موقفك الرجولى هذا هناك ملاحظة هامة ، لابد وأن نعترف جميعا بها ، وهى لولا خروج الفتاة أو السيدة بهذه الصورة الملفتة للأنظار لغريزة مثل هذا الشاب الذى هو شعلة من الجنون : لما الشاب تصرفا مشينا كهذا .

فقلت له : وأنا اضم رأى الى رأيك واناشد الآباء واولياء الأمور أن يمنعوا بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم من الالى الطريق العام بهذه الصورة المخالفة لأداب الاسلام ، و على حدود الشرع : والا فان النتيجة قد تكون سيئة للغاية تدفع الفتاة أو السيدة أو الأخت ثمنا لهذا السفور أغلى شىء وهو شرفها ، وكرامتها ، بل وكرامة أهلها وعشيرتها . وقد

بسبب لك أبشع الجرائم التي نقرا عنها يوميا في جرائدنا وجرائد مجاورينا .

وكل هذا بسبب اهمال الرعاة في أداء مهمتهم كما يجب عليهم ،
فقد ورد في الحديث الشريف :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في ما ساء سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ومسئول عن رعيته) .
متفق عليه .

ويجب على الزوج — بصفة خاصة — : أن يكون غيورا ليحمي زوجته من الدنس ، ويوجهها الى ما يحفظ عليها شرفها وشرفه . فقد تكون المرأة في ذاتها فاضلة شريفة أمينة ، وباهمال الزوج تتجرا على الخنا ، والنساء — كما ورد — ناقصات عقل ودين .

وان صح الحديث الذي ورد فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لابنته الزهراء رضى الله عنها : اى شيء خير للمرأة ؟ فقالت : أن لا ترى رجلا ولا يراها رجل .

ان صح هذا الحديث ففيه الكفاية .

وحتى تحافظ المرأة المسلمة على شرفها وتحمي نفسها وشرفها من الذئاب البشرية .

لابد أن نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوشم ، ونتف الوجه ودهانه وتفليج الاسنان وتسويتها ، وتحديدتها ووصل الشعر .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله المواشمات

والمستوشمات ، والتمصصات ، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق
الله تعالى (متفق عليه .

ولعن النبي صلى الله عليه وسلم : (الواصلة والمستوصلة)
متفق عليه .

ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الواثشرة)
رواه أحمد .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم : يلعن القاشرة والمقشورة .
المعنى :

التمصصات : ناتفات الشعر من الوجه .

المتفلجات : من يحدثن فواصل بين الاسنان .

المستوصلة : من تزيد شعرا في شعرها (كالباروكة الآن) .

المقشورة : من تدهن وجهها بالكريم ومثله .

وبالقياص شرعا وعقلا : يحرم على المرأة الأصباغ كاحمر
الوجه ، و (دهان الأصابع) وعمليات التجميل لأنها تغير لخلق
الله تبارك وتعالى ، واسراف في الزينة ، وغش وخداع وتضليل .
فالمرأة التي تصبغ شفتيها وكأنها ملوثة بالدم لا يرتاح الى
منظرها سليم الذوق .

وقد ثبت طبيا ضرر الكريم والأصباغ ببشرة المرأة ، فأنهها
تعمل على ترهلها ، فلا ينفرد الجلد الا بها ، كما ثبت ضررها على
الصحة حتى الجنين في بطن أمه .

والزينة المقبولة شرعا وذوقا هي : نظافة الجسم والملابس ،
والتطيب بالروائح الذكية ، ودهان الشعر بالزيوت النقية ، وارتداء
زاهر الثياب كالحرير وغيره ، والتحلل بالمجوهرات :
ما دامت في بيت الزوجية .

أما أن تخرج متعطرة الى الطريق بتلك الصورة المحركة
للفريزة الجنسية :

فهذا : اذاء من جانبها للشباب — بصفة خاصة — لا بد
من كفه .

وحسبها حتى تكف اذاها عن الناس عامة ، اذا ما خرجت الى
الطريق هذا الحديث :

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : (كل عين زانية ، والمرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس ، فهي
كذا وكذا يعنى زانية (١)) .

رواه أبو داود والترمذى . وقال : حسن صحيح .

● وليس من الحياء : أن نرى بعض الشباب يلعب الكرة في
عرض الطريق وفي وقت يحرس السكان فيه — غالبا — على الراحة ،
وهو وقت التياولة وهم يلبسون الملابس القصيرة التي تكشف جزءا
كبيرا من العورة (٢) .

فهذا اللعب في وسط الطريق وبين مساكن المواطنين ، وعلى
مراى ومسمع من السيدات والفتيات اللاتي يخشى عليهن من النظر
الى هؤلاء الشبان الذين يبذلون قصارى جهدهم امام الفتيات
والسيدات الفاتا لأتظارهن :

ان هذا كذلك — فضلا عن ازعاج المرضى من السكان — يعتبر
اذاء كبيرا لا بد وان نعمل على ازالته حتى يتحقق الهدوء والاستقرار
للمواطنين .

(١) أى أخذ في أسباب الزنا .

(٢) وقد علمت قبل ذلك أن عورة الرجل من السرة الى ما تحت الركبة .

وان كان لأبد من اللعب ، فعلى هؤلاء الشباب أن يذهبوا الى الملاعب المخصصة لهذا اللعب الذى ليس حراما ، ما دام بعيدا عن اىذاء الناس ، وفى غير أوقات الصلاة ، وبدون تعصب لفريق ضد فريق .

وهناك ألوان كثيرة من اللهو ، وفنون من اللعب شرعها النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين ترفيها عنهم ، وترويحاً لهم ، وحتى تهيب نفوسهم للاقبال على العبادات والواجبات الأخرى ، أكثر نشاطاً وأشد عزيمة . وهى مع ذلك فى كثير منها رياضات تدربهم على معانى القوة ، وتعددهم ليادين الجهاد فى سبيل الله ، ومن ذلك (١) :

مسابقة العدو (٢)

فقد ورد أن الصحابة عليهم جميعاً رضوان الله : كانوا يتسابقون على الأقدام ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقرهم على ذلك .

وقد روي أن علياً كرم الله وجهه كان عداء سريع العدو .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه كما ورد : يسابق زوجته عائشة رضى الله عنها بمسابقة لها ، وتطيبها لنفسها ، وتعليماً لأصحابه .

قالت عائشة رضى الله عنها : سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ، فلبثت حتى اذا أرهقتنى اللحم (أى سميت) سابقنى فسبقنى فقال : (هذه يتلك) (٣) .
رواه أحمد وأبو داود .

(١) كما فى كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام » بتصرف .

(٢) أى الجرى على الأقدام .

(٣) يشير الى المرة الاولى .

وكذلك :

المصارعة

فقد صارع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا معروفا بتوخته يسمى (ركانة) فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة .

الضرب بالسهام (١)

فهو من فنون اللهو المشروعة :
وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول : (ارموا وأنا معكم) .
رواه البخاري .

وكذلك :

اللعب بالحرا

فقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم للحبشة أن يلعبوا بها في مسجده الشريف .

وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم ، وهو يقول لهم : (دونكم يا بني أرفدة) : وهي كنية ينادى بها أبناء الحبشة عند العرب .

وأيضا :

العب الفروسية

ففي الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :
(ارموا واركبوا) . رواه مسلم .

ويقول : (كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو مسهو ،

(١) أي التصويب بالسلاح .

الا اربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (الرمي) وتأديبه فرسه ،
وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة) .

رواه الطبراني باسناد جيد .

وقال عمر رضى الله عنه : (علموا اولادكم السباحة والرمية
ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبا) .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم (سابق بين الخيل
وأعطى السابق) .

وكل هذا من النبي صلى الله عليه وسلم تشجيع على السباق
واغراء به .

وكذلك :

الصيد

فهو من اللهو النافع الذى اقره الاسلام بالاضافة الى انه متعة
ورياضة واكتساب ، سواء اكان الصيد عن طريق الآلة كالنبال
والرماح ، او عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور .

ولم يمنع الاسلام الصيد الا فى حالتين ، حالة المحرم بالحج
والعمرة ، فانه فى مرحلة سلام كامل ، لا يقتل فيها ولا يسفك دما
كما قال تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم) .

(وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) المائدة : ٩٥ ، ٩٦ .

والحالة الثانية : حالة الحرم فى مكة فقد جعلها الاسلام
منطقة سلام وأمن لكل كائن ينتقل فى أرجائها ، أو يطير فى سمائها ،

أو ينبت في أرضها فهي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يصاد صيدها ، ولا يقطع شجرها ، ولا يختلى خلاها (١) .

●● وأما عن لعب :

الميسر

وهو القمار الذي قرنه القرآن بالخمير في قوله تعالى :
(.. إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) (٢) :

فهو حرام ، وكذلك كل لعب فيه قمار ، وهو كل ما لا يخلو اللاعب فيه من ربح أو خسارة .

وفي الحديث الشريف يقول صلى الله عليه وسلم :
(من قال لصاحبه تعالى اقامرك فليتصدق) (١) .

يعنى أن مجرد الدعوة الى المقامرة ذنب يوجب الكفارة بالتصدق .

● ومن ذلك اللعب بالنرد (الزهر) اذا اقترن بقمار ، فهو حرام اتفاقا . وان لم يقترن به ، فقال قوم من العلماء : يحرم ، وقال بعضهم : يكره ولا يحرم وحجة المحرمين ما رواه بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من لعب بالنرد شبر فكانما صبغ يده في لحم خنزير ودمه) .

رواه مسلم واحمد وابو داود .

(١) متفق عليه .

(٢) المائدة : الآية ٩٠ .

(٣) متفق عليه .

وما رواه أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله) .

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه ومالك في الموطأ .
والحديثان صريحان عامان في كل لاعب ، قامر أم لم يقامر . . .

● ومنه اللعب بالشطرنج .

وقد اختلف الفقهاء في حكمه بين الإباحة والكراهية والتحريم .

واحتج المحرمون بأحاديث رويها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن نقاد الحديث وخبراءه ردوها وأبطلوها ، وبينوا أن الشطرنج لم يظهر إلا في زمن الصحابة ، فكل ما ورد فيه من أحاديث باطلة .

أما الصحابة رضي الله عنهم فاختلفوا في شأنه ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : هو شر من النرد .

وقال علي رضي الله عنه : هو من الميسر (ولعله يقصد :
إذا اختلط به القمار) .

وروي عن بعضهم كراهيته فحسب .

وهناك من أباحه بشروط ثلاثة :

١ — أن لا تؤخر بسببه صلاة عن وقتها ، فإن أكبر خطورته في سرقة الأوقات .

٢ — ألا يخالطه قمار .

٣ — أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب من الفحش والخفا وردىء الكلام .

فإذا فرط في هذه الثلاثة أو بعضها اتجه القول الى التحريم .

● وليس من الحياء : أن يرتفع صوت مذياع أو تسـجيل بصورة مزعجة للمارة — والسكان بصفة خاصة — من داخل مقهى أو حائوت تجارى :

وقد قرأت فى جريدة أخبار اليوم ٢٦/١٠/١٩٧٨ : حكما بمصادرة راديو لاستخدامه بطريقة مزعجة جاء فى نصه :

قضت محكمة بولاق لأول مرة بمصادرة جهاز راديو وتغريم صاحبه ١٠ جنيهات لاستخدامه بطريقة مزعجة ومثقلة لراحة المواطنين ...

ففرحت جدا بهذا الحكم الذى كان نتيجة لتقدم الجـيران المجاورين لصاحب هذا المذياع وهو بقال فى حى بولاق : ببلاغ الى الشرطة ضده بسبب استخدامة الجهاز بطريقة مزعجة ..

وقالت فى نفسى ليته تكون هناك أحكام كثيرة من هذا النوع حتى لا نرى ازعاجا كهذا الذى يشكل خطورة كبيرة على صحة المواطنين ، ويقتل من انتاج العاملين لانه يتلف اعصابهم .

● واذا كنت أقول هذا بالنسبة لمذياع وما شابهه من آلات اللهو والطرب : فإنتى أقول مثله بالنسبة للورش الصناعية التى تعمل طوال النهار والى منتصف الليل تقريبا ، دون انقطاع لأصوات المطارق التى كثيرا ما كانت سببا فى اتلاف الأعصاب .

هذا فضلا عن السيارات التى يصلحونها والتى تحتل مكانا كبيرا من جانبى الطريق بل جزءا كبيرا من الطريق نفسه .

وكننت أتصور كما قرأت عن بعض الدول الأوربية : أن تكون تلك المصانع والورش فى أماكن بعيدة عن مساكن المواطنين ، حتى لا يكون هناك ازعاج أو اختناق بسبب الدخان الذى يملأ الجو من داخل تلك المصانع والورش .

وهذا وحده كما قرأت كذلك في بعض الأبحاث الطبية يشكل خطورة كبيرة على صحة الإنسان .

والوقاية كما يقولون خير من العلاج .

● ونستطيع أن نقول هذا أيضا بالنسبة لهؤلاء المدخنين الذين لا يكثرثون بانشمئزاز المارة منهم ، ولا سيما في السيارات والقطارات والأماكن العامة .

ان هذا الدخان (أو التبغ) الذى يشربونه أضراره لا حصر لها . وقد رايت حتى يقامعوا عن تلك العادة القبيحة المؤذية لهم ولغيرهم ، ان أشير الى ما قرأته في دائرة المعارف (١) ، للأستاذ فريد وجدى رحمه الله تحت عنوان (التبغ) ، ما نصه :

التبغ هو ما يسميه الناس الآن بالدخان وهى شجرة أمريكية الأصل ولكنها تزرع الآن في سائر بلاد أوربا ، فتبلغ من متر الى متر وستين سنتيمترا ، وهى تنبت في جميع البلاد المعتدلة ، ولكنها تنجب في البلاد الحارة وتصل في الطول في نحو الخمسة أمثال وأوراقها الجففة تستعمل تدخيناً ، ومضغاً ، وسعوطاً (٢) .

هذه العادة من أضر العادات التى منى بها هذا الإنسان الضعيف ، فقد زعم باحث في مجلة المجلات الفرنسية : ان خسائر تعاطى هذه المادة يوازى خسائر الخمر على النوع البشرى وسيجىء لك ما يقف بك على مصداق هذا القول .

هذه العادة لم تكن موجودة في العالم قبل اكتشاف أمريكا في القرن الخامس عشر . وسبب سريانها في أوربا هم النوتية الأسبانيون ، فانهم رأوا متوحشى أمريكا يدخنون فتلدوهم ، وجاءوا

(١) المجلد الثانى ، طبعة ثانية ص ٥٢٦ .

(٢) وهو النشوق .

بهذه العادة الى اوربا فانتشرت فيها ، ولما شخص كريستوف كولومب الى امريكا بعث في سنة ١٥١٥ الى اسبانيا يزور هذه الشجرة لتزرع بصفة نبات طبي كان يعزى له بعض الفوائد في بعض الأمراض ، ولم يتخيل انسان أن تدخين هذا النبات السام الذي من مركباته جوهر النيكوتين المهلك سيكون في جيل من الأجيال من الشيوخ والانتشار بحيث يكون نسبة باعة الخبز الى باعة التبغ كنسبة : ١ الى ١٠ ، وقد بحث العلماء كثيرا في سبب شيوع هذه الآفة بين النوع الانساني على ما فيها من ضرر فزعموا أن السبب في ذلك هو الخدر الذي يحدثه في المخ فيهدئه اذا كان مضطربا فينساق صاحبنا الى تعاطيه وهو غافل عما يحقق به من المعاطى الصحية التي لا تندفع بعلاج .

ثم يقول بعد ذلك :

أما مضاره المعروفة فكثيرة جدا ، منها : تكثير اللعاب جدا وفي كثرة استنزاف الدم والتهاب الشفتين وتعريضهما لداء السرطان ، وتلف الأسنان ، والتهاب غشاء الفم والحنجرة ، واحداث اضطرابات هائلة في اعصاب القلب ، والبصر ، والمعدة ، والرئتين ، وتعريض الجسم كله للشلل .

وقد نسب العلامة (**الوجران**) سبب تزايد الأمراض العقلية في العالم الى التبغ ، وقد جرب الأطباء ذلك في المصابين بالأمراض المخية الجنونية ، بمنعهم عن تعاطى التبغ فتوصلوا لنتائج عجيبة . ومن الناس من أصيب بوساوس وأوهام وخواطر مقلقة حرمته الراحة والطمأنينة وكادت تؤديه الى الجنون : فترك التدخين بالتبغ فشفى تماما .

هذا : وأن محض النظر في أمر التبغ من جهة نتائجه المضرة وجواهره الكيماوية المركبة التي منها النيكوتين الشديد الفعل كاف في تكريه التدخين للانسان .

وقد حدثت حوادث من التبغ لا تترك للعارف بها شكاً في أن المدخن يعرض نفسه لأشد التلف ، وأن تلك السيجارة التي يقلبها بين أصبعيه أقل ما تستحق منه أن ينفض قذاها عن يديه ، وأن يدوسها بقدميه .

ومن الحوادث المريعة التي سجلها التاريخ على النيكوتين : أن بعض أصدقاء الشاعر مانتول اللاتيني المتوفى سنة ١٦٦٨ م القى تبغاً في نبيذه ، فلما شربه الشاعر واستقر في خوفه أحدث لديه من الآلام ما لا يمكن التعبير عنه ، ثم غارق الحياة على الأثر صريع أقوى السموم وأخبثها هو النيكوتين .

وشوهد رجال وقعوا في الخدر الشديد وماتوا على تلك الحالة لأفراطهم في استنشاق دخان كثيف من دخان التبغ بمنأخرهم .

ومات ثلاثة أطفال مرة بعد تكبد آلام لا تطاق بسبب دهن امرأة مطبوبة لرعوسهم بمنقوع التبغ زعماً منها أن ذلك يزيل عنهم قشور الرأس .

وشوهد أن مهرباً حاول أن يهرب تبغاً فلف مقداراً منه حول جسمه فقتلهم جسده ومات بعد ما ذاق آلاماً بليغة .

وللتبغ خاصة التسميم البطيء : يعرف ذلك مما يصاب به المغرمون به ، من الهزال والشحوب في الوجه ، والشلل الرئوي ووجع الدماغ ، والمغص ، والنزيف ، والقىء النخ . . .

●●● فلاحظ كل هذا أخا الإسلام ، ولا تعرض نفسك لهذا الهلاك المحقق بسبب التدخين ، وكذلك لا تؤذ غيرك به .

وحسبك أن وزارة الصحة كانت تحذرك على شاشة (التليفزيون) من التدخين .

بل وحسبك قول القائل :

وكم في الدخان معائب ومكاره
 دلت نتائجها على أنكاره
 عمت بليتسه البرية كلها
 حتى غدا الجمهور تحت حصاره
 وعيـوبه بين الأنعام كثيرة
 معلومة لكبارهِ وصـفـاره
 فان انتهيت وما أظنك تنتهي
 ورغبت عنه نجـوت من أضراره
 كم من نقـود يا فتى وملابس
 أتلفتها بشرائه وشراره
 كل البهائم والطيور تباعدت
 لم تستطع للأكل من أشـجاره
 وكذا الهوام إذا رآه بقربه
 ترك المكان وحـاد عن أوكاره
 والنحل لم تأكله حال سلوكها
 أبدا ولم تنزل على أزهاره
 وأمنع نساءك ما استطعت مبالغا
 في زجرهن وقل لهن حـذاره
 عار على ذات القنـاع (١) تلوكه
 وتشوب شهـة ريقها بعكاره
 فتري الثنايا اللؤلؤية أصبحت
 مقلوحة بسـواده وصـفـاره
 والمضغ مذموم وقبح طعمه
 ما دامت الأطرون من أنصاره

(١) أنه يقصد المرأة التي كانت تلبس قبل ذلك قناعا .

● وليس من الحياء : أن تتخلى — أى تتبول — فى طريق الناس أو ظلهم .

فقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(اتقوا اللاعنين ، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلهم) .

أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود .

المراد باللاعنين : الأمران اللذان يحملان الناس على اللعن ، وذلك أن من فعلهما لعن وشتم عادة ، فلما صار سببا للعن أسند اللعن اليهما على طريق المجاز العقلى ، ويحتمل أن يكون اللاعن بمعنى الملعون ، أى الملعون فاعلها .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم : إذا ذهب المذهب أبعد . ورد عن المغيرة بن شعبة ، وأخرجه الأربعة والحاكم ، وقال الترمذى حسن صحيح .

وعن جابر رضى الله عنه أنه قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فكان لا يأتى البراز حتى يغيب فلا يرى .

أخرجه ابن ماجه بسند رجاله رجال الصحيح . ولأبى داود . كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد .

والبراز بفتح الباء الموحدة ، اسم للفضاء الواسع من الأرض ، وكنى به عن حاجة الإنسان ، كما كنى عنها بالغائط والخلاء .

● فلاحظ هذا أخا الإسلام ، ولا تكن كهؤلاء الذين يتبولون فى الطرقات كالأنعام بل أضل .

وأرجو أن تكون على عكس ذلك محافظا على نظافة الطريق :

وحسبك ان تعرف أهمية النظافة وفضلها في الاسلام ، أو تقرأ
هذا الحديث :

● وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، قال : (ان الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف
يحب النظافة ، كريم يحب الكريم ، جواد — يتشديد الواو — يحب
الجود ، فنظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا اليهود) رواه الترمذى وقال :
حديث حسن (الجامع الصغير : ج ١ ص ١١٨) .

وقد قرأت في النشرة رقم ٧٥ تحت عنوان (النظافة من
الايمان) ، ما نصه :

والطريق الذى يمر فيها الناس قد تكون نظيفة ومعبرة ، وقد
تكون نظيفة غير معبرة تتناثر فيها الحجارة هنا وهناك مما يكون
سببا في عثار المارة والحاق الضرر بهم .

وقد تكون الطريق معبرة ولكنها غير نظيفة وذلك اما ان يكون
الانسان نفسه سببا في القاء القاذورات التى تضر بالمارة فيه ، وذلك
مثل الأمطار تصيب الطريق بالأوحال والرياح تأتى بالأشواك وتلقيها
في عرض الطريق وغير ذلك مما يكثر التفريع عليه .

والاسلام قد نبه وشدد في التنبيه على نظافة الطريق من كل
هذه الأشياء ، بل ان الاسلام جعل الثواب الجزيل والحسنات الكثيرة
لن ازال من طريق الناس كل ما يضرهم ، ونحن مؤردون ببعض
النصوص التى نصت على ذلك :

● فعن أبى برزة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، (اعزل الأذى عن طريق المسلمين) .

أخرجه مسلم وابن ماجه (فيض القدير ج ١ ص ٥٦٠) .

والنبي صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم ، وفي هذا

النص الصغير كل معنى كبير يبحث عنه الناس وأولوا الأمر لنظافة الطرقات ، بل فيه أيضا الأمر برفع الأذى فلا يباح لأى انسان أن يلقي ما يؤذى الناس فقط ، بل ان الاسلام أمر من وجد الأذى فى الطريق أن يرفعه ويزيله . .

● وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (فى الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة . قالوا : ومن يطيق ذلك يا نبي الله ؟ قال : النخامة فى المسجد تدفنها ، والشئ تنحيه عن الطريق ، فان لم تجد فركعتا الضحى تجزئك) .

رواه أبو داود . (سنن أبى داود : ج ٢ ص ٦٥١) .

وقد أدرك الصحابة فداحة الواجب عليهم ، فمن يطيق من الناس أن يؤدى ثلاثمائة وستين صدقة كل يوم على عدد مفاصله التى ركبت فيه . ولكن حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم جعلها ممكنة فى اخفاء البصقة الظاهرية على السطح وفى أى شئ يعترض طريق الناس ويحصل به أى أذى حسى أو معنوى ، فاذا كان الانسان فى منطقة نظيفة جدا ، وليس فيها ما يدفنه أو ينحيه أو يزيله فعليه أن يصلى الله ركعتين بعد طلوع الشمس ، واشترط لاجراء الصلاة عدم وجود شئ من ذلك فى الطرقات أو الأماكن العامة وهذا هو ظاهر النص والله أعلم .

● روى أبو داود بسنده الى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (نزع رجل لم يعمل خيرا قط غصن شوك عن الطريق . أما كان فى شجرة لقطعه والقاء ، وأما كان موضوعا فإماطه ، فشكر الله له فادخله الجنة) .

رواه أبو داود : ج ٢ ص ٦٥٢ .

وأهم من ذلك كله أن الإسلام جعل نظافة الطريق من شعيب
الإيمان :

● فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (الإيمان بنضع وستون شعبة ، فأفضلها قول
لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة
من الإيمان) .

أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (كنز العمال :
ج ١ ص ٢٩) .

ويدخل في المرافق العامة كل ما يؤدي خدمات للجمهور مثل
المدارس والمستشفيات والنوادي والدواوين الحكومية وما إلى ذلك .
وبما أننا قد سقنا بعض النصوص التي تحض على نظافة
المرافق العامة فيحسن كذلك أن نورد بعض النصوص التي تنهى عن
التسبب في قذارة المرافق بما يؤدي الناس في أذواقهم وصحتهم
وغير ذلك .

فلقد اعتبر الإسلام كل من يؤدي الناس في طرقاتهم أو
نواديهم أو أماكن تجمعاتهم متعرضا لسخطهم ولعنتهم .

● فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : (اتقوا اللعنانين (بفتح اللام والعين المشددتين)
قالوا : وما اللعانان يا رسول الله ؟ قال : الذي يتخلى في طريق
المسلمين أو ظلهم) .

أخرجه مسلم (ج ١ ص ١٥٦ شرح النووي) .

وفي رواية أبي داود : (اتقوا اللاعنين) .

والروایتان صحيحتان .

قال الامام أبو سليمان الخطابي : المراد باللاعنين فعل
الأميرين الجالبين للعين — الحاملين الناس عليه والداعين اليه ،
وذلك ان من فعلها شتم ولعن يعنى عادة الناس لعنه .

وأما رواية مسلم فمعناها والله أعلم : اتقتوا فعل اللعانيين أى
صاحبى اللعن وهما اللذان يلعنهما الناس فى العادة .

قال الخطابى وغيره من العلماء : المراد بالظل هنا مستظل
الناس الذى اتخذوه مقبلا ومناخا ينزلونه ويقعدون فيه .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (الذى يتخلى فى طريق الناس) :
فمعناه يتغوط فى موضع يمر به الناس . وما نهى عنه فى الظل والطريق
الا لما فيه من اذى المسلمين بتنجيس من يمر به ونقته واستقذاره
والله أعلم .

(النووى على مسلم : ج ٣ ص ١٦١ ، ١٦٢) .

● وعن حذيفة بن أسيد أن النبى صلى الله عليه وسلم ،
قال : (من أذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم)

رواية الطبرانى فى الكبير (حسن) فيض القدير : ج ٦ ص ١٨ .

قال المناوى : قد استدلل بهذا الحديث على تحريم قضاء
الحاجة فى الطريق . والأذى : إيلاى النفس وما يتبعها من الأحوال
— والضرر : إيلاى الجسم وما يتبعه من الحواس . أ . ه .



●● وخلاصة القول ، فقد رأيت وفى ختام هذا العنصر ، ان
أسجل هنا ما أجمله الامام الغزالى رحمه الله فى كتابه (احياء علوم
الدين) تحت عنوان :

منكرات الشوارع

قال (١) : فمن المنكرات المعتادة فيها وضع الاسطوانات ، وبناء الدكاك متصلة بالابنية المملوكة ، وغرس الأشجار — أى فى وسط الطريق لا على جانبيه — واخراج الرواشن والأجنحة ، ووضع الخشب ، واحمال الحبوب والأطعمة على الطريق (٢) ، فكل ذلك منكر ان كان يؤدى الى تضيق الطرق واستضرار المارة ، وان لم يؤد الى ضرر أصلا لسعة الطريق فلا يمنع منه .

نعم : يجوز وضع الحطب واحمال الأطعمة فى الطريق ، بحيث يضيق الطريق ، فى القدر الذى ينقل الى البيوت فان ذلك يشترك فى الحاجة اليه الكافة ، ولا يمكن المنع منه ، وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكرا يجب المنع منه ، الا بقدر حاجة النزول والركوب ، وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة ، وليس لأحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة ، والمرعى هو الحاجة التى تراد الشوارع لأجلها فى العادة دون سائر الحاجات .

ومنها سوق الدواب وعليها الشوك ، بحيث يمزق ثياب الناس ، فذلك منكر ان امكن شدها وضمها بحيث لا تمزق ، أو امكن العدول بها الى موضع واسع ، والا فلا منع اذ حاجة اهل البلاد — أى اهل القرى — تمس الى ذلك ، نعم : لا تترك ملقاة على الشوارع الا بقدر مدة النقل ، وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تحليقه منكر يجب منع الملاك منه . وكذلك ذبح القصاب

(١) فى الجزء السابع ص ١٢٤٣ طبعة دار الشعب .

(٢) انه يشير الى طرق القرى بصفة خاصة .

— أى الجزار — إذا كان يذبح فى الطريق حذاء باب الحانوت (١) ويلوث الطريق بالدم ، فإنه منكر يمنع منه ، بل حقه أن يتخذ فى مكانه فان ذلك تضيقا بالطريق ، واضرارا بالناس ، بسبب ترشيش النجاسة ، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات ، وكذلك طرح القمامة على جوار الطريق وتبديد قشور البطيخ ، أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات ، وكذلك إرسال الماء من الميازيب المخرجة من الحائط فى الطريق الضيقة ، فان ذلك ينجس الثياب ، أو يضيق الطريق ، فلا يمنع منه فى الطرق الواسعة إذ العدول عنه ممكن ، فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج فى الطرق من غير كسح فذلك منكر ، ولكن ليس يختص به شخص معين الا الثلج الذى يختص بطرحه على الطريق واحد ، والماء الذى يجتمع على الطريق من مزاب معين ، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق ، وان كان من المطر فذلك حسبة عامة ، فعلى الولاية تكليف الناس القيام بها ، وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذى الناس فيجب منعه منه ، وان كان لا يؤذى الا بتنجيس الطريق ، وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه ، وان كان يضيق الطريق ببسطة ذراعيه فيمنع منه ، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعودا يضيق الطريق ، فكلبه أولى بالمنع .

●●● فلا تنس كل هذا أخا الإسلام حتى تكف أذاك عن الناس .
 وحتى تكون مسلما بالمعنى الصحيح : ففى الحديث الشريف الذى روى : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) متفق عليه .

(٢) أى بجوار مكانه وإمام بابه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقَالَ : ان المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسيفك دم هذا ، وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار) . رواه مسلم . .

●● فضع كل هذا نصب عينيك حتى تكون أهلا لتنفيذ هذا الحق الثانى من حقوق الطريق :

● (فطوبى لمن عقل لسانه وكفه ، وأطلق بالخير بنانه وكفه) . وحسبك فى النهاية قول الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

● (. . لا عقل كالندبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق) رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

●● ولا يفوتنى كذلك فى النهاية ان اذكرك بهذا الحديث الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

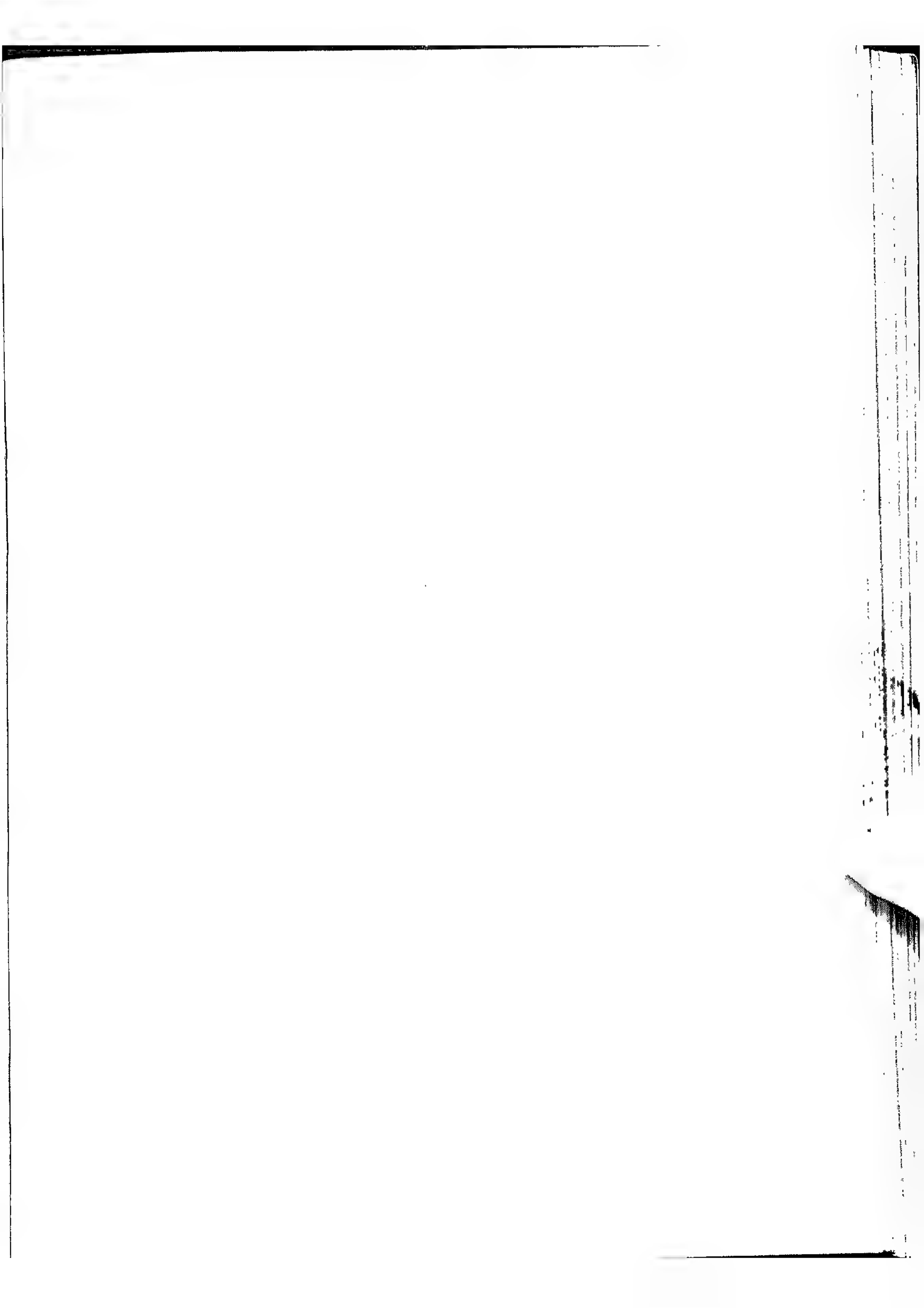
● (من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك :

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا انت ، استغفرك وأتوب اليك :

الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك) .

رواه الترمذى من حديث أبى هريرة وصححه .

رَحْمَةُ اللهِ



●● وأما عن :

رد السلام

فهو فرض لأن الله تعالى أمر به فقال :

● (وإذا حييتم بتحيةة فحيوا بأحسن منها أو ردوها) . .

النساء : الآية ٨٦ .

● وقد قال القرطبي في تفسير هذه الآية بعد أن ذكر بعض

الآراء المتعلقة بمعنى التحية :

والصحيح أن التحية ههنا السلام ، لقوله تعالى :

(وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) .

وقال النابغة الذبياني :

تحيةهم بيض الولائد بينهم——

واكسيه الأضريح فوق المشاجب

أراد : ويسلم عليهم . وعلى هذا جماعة المفسرين :

● ثم يقول القرطبي رحمه الله :

● وإذا ثبت هذا وتقرر ففقه الآية أن يقال : أجمع العلماء

على أن الابتداء بالسلام سنة مرغّب فيها ، ورده فريضة لقوله

تعالى : (فحيوا بأحسن منها أو ردوها) :

● ثم أراد أن يورد بعض الأحكام المتعلقة برد السلام ، فقال :

واختلفوا إذا رد واحد من جماعة هل : يجزئ أو لا ؟ .

فذهب مالك والشافعي إلى الأجزاء ، وأن المسلم قد رد عليه

مثل قوله .

وذهب الكوفيون : إلى أن رد السلام من الفروض المتعينة ،

قالوا : والسلام خلاف الرد لأن الابتداء به تطوع ورده فريضة .

ولو رد غير المسلم عليهم لم يسقط ذلك عنهم فرض الرد ،
فدل على أن رد السلام يلزم كل انسان بعينه ، حتى قال قتادة
والحسن : ان المصلي يرد السلام كلما اذا سلم عليه ولا يقطع ذلك
عليه صلاته ، لأنه فعل ما أمر به . والناس على خلافه :

احتج الأولون بما رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب عن
النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (يجزىء من الجماعة اذا مروا
أن يسلم أحدهم ، ويجزىء عن الجـلوس أن يرد أحدهم) :
وهذا نص في موضع الخلاف . قال أبو عمر : وهو حديث حسن
لا معارض له ، وفي اسناده سعيد بن خالد ، الخزاعي مدني ليس
به بأس عند بعضهم ، وقد ضعفه بعضهم منهم أبو ذرعة وأبو حاتم
ويعقوب بن شيبه وجعلوا حديثه هذا منكرا لأنه انفرد فيه بهذا
الاسناد ، على أن عبد الله ابن الفضل لم يسمع من عبيد الله بن أبي
رافع ، بينهما الأعرج في غيرها حديث . والله أعلم .

واحتجوا أيضا بقوله عليه السلام : (يسلم القليل على الكثير)
ولما أجمعوا على أن الواحد يسلم على الجماعة ولا يحتاج الى
تكريره على عداد الجماعة ، كذلك يرد الواحد عن الجماعة وينوب
عن الباقيين كفروض الكفاية .

وروى مالك عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال : (يسلم الراكب على الماشي واذا سلم واحد من القوم
أجزأ عنهم) . قال علماؤنا : وهذا يدل على أن الواحد يكفي الرد ،
لأنه يقال أجزأ عنهم إلا فيما وجب . والله أعلم .

● ثم يشير القرطبي بعد ذلك الى المعنى المراد من قوله تعالى :
(فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فيقول :
رد الأحسن أن يزيد فيقول :

عليك السلام ورحمة الله ، لمن قال سلام عليك . فإن قال :
سلام عليك ورحمة الله ، زدت في ردك : وبركاته . وهذا هو النهاية
فلا مزيد . قال الله تعالى مخبرا عن البيت الكريم :
(رحمة الله وبركاته) .

فان انتهى بالسلام غايته ، زدت في ردك الواو في أول كلامك
نقلت : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

والرد بالمثل أن نقول لمن قال : السلام عليك : عليك السلام ،
الا أنه ينبغي أن يكون السلام كله بلفظ الجماعة وان كان المسلم
عليه واحدا .

وروى الاعمش عن ابراهيم النخعي ، قال : اذا سلمت على
الواحد فقل : السلام عليكم ، فانه معه الملائكة .

وكذلك الجواب يكون بلفظ الجمع .

قال ابن أبي زيد : يقول المسلم : السلام عليكم ، ويقول الراد :
وعليكم السلام ، او يقول : السلام عليكم ، كما قيل له ، وهو معنى
قوله تعالى (او ردوها) ولا تنقل في ردك : سلام عليك .

● ثم يقول القرطبي : والاختيار في التسليم والادب فيه
تقديم اسم الله تعالى على اسم المخلوق ، قال الله تعالى :
(سلام على آل ياسين) .

وقال في قصة ابراهيم عليه السلام : (رحمة الله وبركاته
عليكم أهل البيت) وقال مخبرا عن ابراهيم عليه السلام :
(سلام عليك) . وفي صحيح البخاري : ومسلم في حديث أبي هريرة
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خلق الله عز وجل آدم
على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقة قال : اذهب فسلم على
اولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك فانها
تحيتك وتحية ذريتك — قال — فذهب فقال : السلام عليكم ،
فقالوا : السلام عليك ورحمة الله — قال — فزادوه ورحمة الله —
قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا
فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن) .

فقد جمع هذا الحديث — كما يقول القرطبي — مع صحته
فوائد سبع : الاولى : الاخبار عن صفة خلق آدم . الثانية : انا ندخل
الجنة عليها بفضلها . الثالثة تسليم القليل على الكثير . الرابعة :

تقديم اسم الله تعالى . الخامسة : الرد بالمثل لقولهم : السلام عليكم .
السادسة : الزيادة في الرد . السابعة : اجابة الجميع بالرد كما
يقول الكوفيون . والله أعلم .

● ثم يقول : فان رد فقدم اسم المسلم عليه لم يأت محرما
ولا مكروها ، لثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال للرجل
الذى لم يحسن الصلاة وقد سلم عليه : (وعليك السلام . ارجع
فصل فانك لم تحصل) . وقالت عائشة : وعليه السلام ورحمة الله ،
حين أخبرها النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل يقرأ عايتها السلام .
أخرجه البخاري . وفي حديث عائشة من الفقه أن الرجل إذا
أرسل إلى رجل بسلام فعليه أن يرد عليه إذا شافهه .

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أبي
يقترئك السلام ، فقال : (عليك وعلى أبيك السلام) .

وقد روى النسائي وأبو داود من حديث جابر بن سليم قال :
لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : عليك السلام
يا رسول الله ، فقال : (لا تقل عليك السلام ، فان عليك السلام
تحية الميت ، ولكن قل : السلام عليك) .

وهذا الحديث لا يثبت ، إلا أنه لما جرت عادة العرب بتقديم
اسم المدعو عليه في الشر كقولهم : عليه لعنة الله وغضب الله .
قال الله تعالى : (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) . وكان ذلك
أيضا دأب الشعراء وعاداتهم في تحية الموتى ، كقولهم :

عليك سلام الله قيس بن عاصم

ورحمته ما شاء أن يترحما :

نهاه عن ذلك ، لا أن ذاك هو الأفضل المشروع في حق الموتى ،
لأنه عليه السلام ثبت عنه أنه سلم على الموتى كما يسلم على
الأحياء ، فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله
بكم لاحقون) . وقالت عائشة : قلت يا رسول الله ، كيف أقول إذا
دخلت المقابر ؟ قال : (قولى السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين)

الحديث . ويحتمل أن يكون حديث عائشة وغيره في السلام على أهل القبور جميعهم إذا دخلها وأشرف عليها ، وحديث جابر بن سليم خاص بالسلام على المروز المقصود بالزيارة . والله أعلم .

● ومن السنة تسليم الراكب على الماشي ، والقائم على القاعد ، والقليل على الكثير ، هكذا جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(يسلم الراكب)** فذكره فبدأ بالراكب لعلو مرتبته ، لأن ذلك أبعد له من الزهو ، وكذلك قيل في الماشي مثله . وقيل : لما كان القاعد على حال وقار وثبوت وسكون فله مزية بذلك على الماشي ، لأن حاله على العكس من ذلك . وأما تسليم القليل على الكثير فمراعاة لشرفية جمع المسلمين وأكثريتهم .

وقد زاد البخاري في هذا الحديث : **(ويسلم الصغير على الكبير)** وأما تسليم الكبير على الصغير ، فروى أشعث عن الحسن أنه كان لا يرى التسليم على الصبيان ، قال : لأن الرد فرض والصبي لا يلزمه الرد فلا ينبغي أن يسلم عليهم .

وروى عن ابن سيرين أنه كان يسلم على الصبيان ولكن لا يسلمهم .

وقال أكثر العلماء : التسليم عليهم أفضل من تركه . وقد جاء في الصحيحين عن سيار قال : كنت أمشي مع ثابت فمر بصبيان فسلم عليهم ، وذكر أنه كان يمشي مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم ، وحدث أنه كان يمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم . لفظ مسلم . وهذا من خلقه العظيم صلى الله عليه وسلم ، وفيه تدريب للصغير وحض على تعليم السنن ورياضة لهم على آداب الشريعة فيه ، فلنقتد .

وأما التسليم على النساء فجائز ألا على الشابات منهم خوف

الفتنة من مكالمتهن بنزعة شيطان أو خائفة عين . وأما المتجاللات (١) والعجز فحسن للأمن فيما ذكرناه ، هذا قول عطاء وقتادة ، واليه ذهب مالك وطائفة من العلماء ، ومنه الكوفيون إذا لم يكن منهن ذوات محرم ، وقالوا : لما سقط عن النساء ، الأذان والاقامة والجهر بالقراءة في الصلاة سقط عنهن رد السلام فلا يمسلم عليهن .
والصحيح الأول لما أخرجه البخاري عن سهل بن سعد قال : كنا نفرح بيوم الجمعة . قلت : ولم ؟ قال : كانت لنا عجوز ترسل الى بضاعة — قال ابن سلمة : نخل بالمدينة — فنأخذ من أصول السلق (٢) فتطرحه في القدر وتكركر (٣) حبات من شعير ، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا فنسلم عليها فتقدمه اليها فنفرح من أجله ، وما كنا نقبل ولا نتغذى الا بعد الجمعة .

والسنة في السلام والجواب الجهر ، ولا تكفى الإشارة بالأصبع والكف عند الشافعي ، وقال القرطبي : وعسسدنا تكفى — أى الإشارة — إذا كان على بعد .

وروى ابن وهب عن ابن مسعود قال : السلام اسم من أسماء الله عز وجل وضعه الله في الأرض فافشوه بينكم ، فإن الرجل إذا سلم على القوم مردوا عليه ، كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم ، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم وأطيب . أى : الملائكة .

وروى الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث قال : إذا سلم الرجل على القوم كان له فضل درجة ، فإن لم يردوا عليه ردت الملائكة ولعننتهم .

فإذا رد المسلم اسم جوابه لأنه إذا لم يسمع المسلم لم يكن

(١) المتجاللة الهرمة المسنة .

(٢) نبت له ورق طوال « بكسر السين » .

(٣) أى تطحن .

جوابا له ، الا ترى ان المسلم اذا سلم بسلام لم يسمعه المسلم عليه لم يكن ذلك منه سلاما ، فكذلك اذا اجاب بجواب لم يسمع منه فليس بجواب .

وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اذا سلمتم فاسمعوا واذا قعدتم فاقعدوا بالأمانة ولا يرفعن بعضكم حديث بعض) .

قال ابن وهب : واخبرني أسامة بن زيد عن نافع قال : كنت اسير رجلا من فقهاء الشام يقال له عبد الله زكريا فحبستني دابتي تبول ، ثم ادركته ولم أسلم عليه ، فقال : الا تسلم ؟ فقلت : انما كنت معك آنفا (١) ، فقال : وان صح ، لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسايرون فيفرق بينهم الشجر فاذا التقوا سلم بعضهم على بعض .

● وأما الكافر : فحكم الرد عليه ان يقال له : وعليكم . قال ابن عباس وغيره : المراد بالآية : (واذا حييتم بتحية) فاذا كانت من مؤمن (فحيوا بأحسن منها) وان كانت من كافر فردوا عليه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال لهم (وعليكم) . وقال ابن عطاء : الآية في المؤمنين خاصة ، ومن سلم من غيرهم قيل : عليك ، كما جاء في الحديث .

● واختلف في رد السلام على أهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين ، واليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة ثمسكا بعموم الآية ، وبالأمر بالرد عليهم في صحيح السنة . وذهب مالك فيما روى عنه أشهب وابن وهب الى ان ذلك ليس بواجب ، فان رددت فقل : عليك . واختار ابن طاووس أن يقول في الرد عليهم : علك السلام ، أى ارتفع عنك . واختار بعض علمائنا : السلام (بكسر السين) يعنى به الحجارة . وقول مالك وغيره في ذلك كاف شاف كما جاء في الحديث .

(١) أى : كنت معك قبل أن تحبستلى الدابة .

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم) : وهذا يقتضى افشاءه بين المسلمين دون المشركين .

● ولا يسلم على المصلى ، فان سلم عليه ، فهو بالخيار ، ان شاء رد بالاشارة باصبعه ، وان شاء أمسك حتى يفرغ من الصلاة ثم يرد .

● ولا ينبغي ان يسلم على من يقضى حاجته (١) فان فعل لم يلزمه ان يرد عليه .

دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحال ، فقال له : (اذا وجدتني أو رأيتني على هذه الحال فلا تسلم على فانك ان سلمت على لم أرد عليك) .

● ولا يسلم على من يقرأ القرآن فيقطع عليه قراءته ، وهو بالخيار ، ان شاء رد وان شاء أمسك حتى يفرغ ثم يرد .

● ولا يسلم على من دخل الحمام وهو كاشف للعضرة او كان مشغولاً بما له دخل بالحمام ، ومن كان بخلاف ذلك سلم عليه .

●● وهناك احكام اخرى تتعلق بالسلام والرد عليه ، اوردها النووي في كتابه (الاذكار) : ارى اتماما للفائدة ان اوقفك عليها (١) ، فإليك :

● وأقل السلام الذى يصير به مسلماً مؤدياً سنة السلام ان يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه فان لم يسمع لم يكن آتياً بالسلام فلا يجب الرد عليه . وأقل ما ينسقط به فرض رد السلام ان يرفع صوته . بحيث يسمعه المسلم فان لم يسمعه لم ينسقط عنه فرض الرد ...

(١) أى : يتبول .

(١) بتصرف واختصار .

والمستحب أن يرفع صوته رفعا يسمعه المسلم عليه أو عليهم
سماعا محققا ، وإذا تشكك في أنه يسمعهم زاد في رفعه واحتياط
واستظهر .

أما إذا سلم على إيقاظ عندهم نيام : فالسنة أن يخفض صوته
بحيث يحصل سماع الإيقاظ ولا يستيقظ النيام .
● وبالنسبة لرد السلام ، فقد قال :

ويشترط أن يكون الجواب على الفور ، فإن أخره ثم رد لم
يعد جوابا ، وكان أثما بترك الرد .
● وعن حكم ابتداء السلام والرد عليه قال :

واعلم أن ابتداء السلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة
على الكفاية ، فإن كان المسلم جماعة كفى عنهم تسليم واحد منهم
ولو سلموا كلهم كان أفضل .

وأما رد السلام : فإن كان المسلم عليه واحدا تعين عليه
الرد ، وإن كانوا جماعة كان رد السلام غرض كفاية عليهم ، فإن
رد واحد منهم سقط الحرج عن الباقيين وإن تركوا كلهم أثموا كلهم ،
وإن ردوا كلهم فهو النهاية في الكمال والفضيلة . . .

● إذا بعث إنسان مع إنسان سلاما فقال الرسول : فلان
يسلم عليك : فإنه يجب عليه أن يرد على الفور ، ويستحب أن يرد
على المبلغ أيضا ، فيقول : وعليك السلام . . .

● إذا سلم على أصم لا يسمع : فينبغي أن يتلفظ بلفظ
السلام لقدرته عليه ويشير بالجواب ليحصل به الأفهام ويسقط عنه
فرض الجواب .

● ولو سلم على أخرس فأشار الأخرس باليد بسقط عنه
الفرض ، لأن إشارته قائمة مقام العبادة ، وكذا لو سلم عليه
الأخرس بالإشارة يستحق الجواب . .

● ولو سلم على صبي لا يجب عليه — أى على الصبي —

الجواب ، لأن الصبي ليس من أهل الفرض . . لكن الأدب والمستحب له الجواب .

ولو سلم الصبي على بالغ ، ففيه وجهان : ينبغيان على صحة اسلامه ، فان قلنا يصح اسلامه كسلام البالغ : يجب جوابه . وان قلنا لا يصح اسلامه : لم يجب رد السلام لكن يستحب . والصحيح من الوجهين وجوب رد السلام . . .

والمرأة مع المرأة ، كالرجل مع الرجل ، وأما المرأة مع الرجل ، فقد قال أبو سعد المتولي :

ان كانت زوجته أو جاريتها أو محرما من محارمه فهي معه كالرجل فيستحب لكل واحد منهما ابتداء الآخر بالسلام ويجب على الآخر رد السلام عليه .

واذا كانت أجنبية : : فان كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يسلم الرجل عليها ، ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ، ولم تسلم هي عليه ابتداء ، فان سلمت لم تستحق جوابا فان أجابها كره له . وان كانت عجوزا لا يفتن بها جاز أن تسلم وعلى الرجل رد السلام عليها .

واذا كانت النساء جمعا ، فيسلم عليهن الرجل ، أو كان الرجال جمعا كثيرا فسلموا على المرأة الواحدة جاز اذا لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة ، فان خيفت فتنة فيحرم سلام الرجل على جمع النساء ، وسلام الرجال على المرأة .

روى أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم : عن أسماء بنت زيد رضي الله عنها قالت : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا . قال الترمذي : حديث حسن .

وهذا الذي ذكرته لفظ رواية أبي داود ، وأما لفظ رواية الترمذي ففيها عن أسماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعودا ، فالوى بيدهم بالتسليم .

● إذا لقي رجل جماعة فأراد أن يخص طائفة منهم بالسلام كره لأن القصد من السلام المؤانسة والألفة وفي تخصيص البعض إحاش الباقين ، وربما صار سببا للعداوة .

● يستحب إذا دخل انسان بيته أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد وليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . كذا إذا دخل مسجدا أو بيتا لغيره ليس فيه أحد يستحب أن يسلم وأن يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته .

● إذا كان جالسا مع قوم ثم قام ليفارقهم فالسنة أن يسلم عليهم ، فقد روينا في سنن أبي داود والترمذي وغيرهما بالأسانيد الجيدة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة) قال الترمذي : حديث حسن .

● إذا مر على واحد أو أكثر وغاب على ظنه أنه إذا سلم لا يرد عليه أما التكبر الممرور عليه ، وأما لاهماله المار أو السلام وأما لغير ذلك فينبغي أن يسلم ولا يتركه لهذا الظن ، فإن السلام مأمور به ، والذي أمر به المار أن يسلم وهو لم يؤمر بأن يحصل الرد مع الممرور عليه وقد يخطئ الظن فيه ويرد . .

●● فلاحظ كل هذا أخا الإسلام وكن من هؤلاء المسلمين حقا : الذين يتبادلون السلام مع اخوانهم المسلمين حتى يدخلوا الجنة بسلام ، وحتى تدوم المودة والمحبة بينهم ، فقد ورد :

● عن أبي يوسف عبد الله بن سلام ، رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يا أيها الناس افشروا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصابروا الأرحام ، وصابروا والناس نيام : تدخلوا الجنة بسلام) .
رواه الترمذي وقال حديث صحيح .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم : افشوا السلام بينكم) رواه مسلم .

● ● ولهذا ، فقد ورد :

● عن الطفيل بن أبي كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى السوق ، قال : فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله على سقاط ولا صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه . قال الطفيل : فجننت عبد الله بن عمر يوما فاستتبعني إلى السوق ، فقلت له : ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق وأقول اجلس بنا اجلس بنا ههنا نتحدث . فقال : يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن : إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقيناه .

رواه مالك في الموطأ بأسناد صحيح .

فاتعـظ منـه وانـذر

انه في الوعـظ غـاية

واتخـذ ما فيـه ذكـرى

ان في هـذا كـفاية

الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر



●● وأما عن الحق الرابع والأخير من حقوق الطريق ،
وهو :

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فقبل أن تعرف حكمهما في الاسلام : أرى أن أوقفك أولا على
تعريف المعروف والمنكر ، كما في التاج الجامع للأصول (١) ، غاليليك :

● المعروف ، هو ما عرفه الناس بأنه محبوب للشارع
مفروضا كان أو مسنونا أو مستحبا .

● والمنكر ، هو : ما ينكره الشارع محرما كان أو مكروها .

●● وعن حكمهما ، معا :

● يقول ابن حزم (٢) : اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر بلا خلاف بين أحد منهم ، لقول الله تعالى :
(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر) آل عمران : ١٠٤ .

● ويقول القرطبي عند تفسير قوله تعالى : (أن الذين يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب أليم) آل عمران : ٢١ .

يقول (٣) : دلت هذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر كان واجبا في الامم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة :

(١) هامش ص ٢٣٤ ج ٥ .

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم : ج ٥ ص ١١٠ .

(٣) القرطبي : ج ٤ ص ٤٧ .

قال الحسن : قال النبي صلى الله عليه وسلم :
(من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة
رسوله وخليفة كتابه) .

● ويقول الاستاذ الامام محمد عبده (١) :

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشبه فريضة الحج
التي هي فرض عين ، ولكن على المستطيع . وفريضة الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر أكد من فريضة الحج لأنه لم يشترط فيها
الاستطاعة لأنها مستطاعة دائماً ، فلا بد للمرء لحفظ نفسه ومن معه
من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لاسيما أمهات المنكرات
المفسدة للاجتماع كالكذب والخيانة والحسد والغش :

فهذا ليس من فروض الكفاية التي يتوكل فيها الناس كصلاة
الجنابة ، إذ لا يجب على كل من يعلم أن هنا ميتا أن ينتظر غسله
ليصلي عليه ، بل يكفي أن يعلم أنه يوجد من يصلي عليه ، ولكنه
إذا رأى منكراً وجب عليه أن ينهى عنه ولا ينتظر غيره .

●● فمن هذه الأقوال الواضحة - تعام إذا الإسلام أنه
يجب عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، حتى تعين على
انتشار الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة .

● وحتى تتحقق الخيرية التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها
في قوله :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران : ١١٠ .

● ويتحقق الفلاح المشار إليه في قوله تعالى :

(١) المنار ج ٤ ص ٣٥ بتصريف .

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران : ١٠٤ .

● ونكون به من الذين يستحقون رحمة الله تعالى كما تشير
الآية الكريمة التي يقول الله تبارك وتعالى فيها :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون
الله ورسوله : أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم)
التوبة : ٧١ .

● بل وسنعين به على تحقيق النصر المشار اليه في قوله
تعالى :

(ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان
مكناهم في الأرض : أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) الحج : ٤٠ ، ٤١ .

* * *

●● وهناك صفات ينبغي أن يتصف بها الداعي الى الله
سبحانه وتعالى أرى كذلك أن أذكرك بها حتى تكون ناجحاً في : أمرك
بالمعروف ونهيك عن المنكر ، وحتى تكون أهلاً لحمل هذه المهمة
العظيمة التي ان أديتها باخلاص كنت من ورثة الانبياء وكنت بذلك
مفتاحاً للخير ، مغلاقاً للشر .

وحسبك أن تحقق بك هذا ، أن تبشر نفسك بهذا الحديث
الشريف الذي يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه :

● (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم)
أخرجه أحمد من حديث معاذ ، وفي الصحيحين من حديث سهل بن
سعد أنه قال ذلك لعلي .

وحتى لا أطيل عليك ، فإليك الصفات التي ينبغي على من يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون متصفا بها :

●● أولها ، العلم : قال تعالى :

● (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، أن ربك هو أعلم بغير تعلم عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين) النحل : ١٢٥ .

فالحكمة في هذه الآية . هي :

العلم النافع الذي ان تسليحت به كنت قويا في حجتك ، وكنت مؤثرا في قلوب سامعيك .

●● ولهذا ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم مرغبا في طلب العلم :

● (ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بها يصنع) رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال . وقال صلى الله عليه وسلم :

● (طالب العلم فريضة على كل مسلم) . من حديث زواه ابن ماجة وغيره .

وقال صلى الله عليه وسلم :

● (من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة) رواه الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين ، وهو حديث مرسل .

ولما كان طلب العلم (للدعاة) بصفة خاصة من أهم ما يجب عليهم أن يتسلحوا به حتى يبلغوا رسالات الله تبليغا صحيحا لا تحريف فيه ولا تخريف :

● كان لزاما عليهم — كما أثرت — أن يكون هناك تركيز من جانبهم على طلب العلم وتحصيله .

والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله :

● (فاولا نفـر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) التوبة : ١٢٢ .

يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية : (كان ينطلق من كل حى من العرب عصابة (١) ، فيأتون النبى صلى الله عليه وسلم يسألونه ما يريدون من أمر دينهم ، ويتفهمون فى دينهم ، ويقتولون للنبى صلى الله عليه وسلم : ما تأمرنا أن نفعله ؟ واخبرنا بما تأمر به عشبائنا اذا قدمنا عليهم . قال : فيأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ، ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة ، وكانوا اذا اتوا قومهم . . يدعوهم الى الاسلام وينثرونهم النار ويبشرونهم بالجنة) ابن كثير ج ٢ ص ٤٠١ .

● ثانيهما ، العمل بما يقول : فى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

● (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتولون الكتاب ، افلا تعقلون) البقرة : ٤٤ .

كما ذم سبحانه وتعالى كل من امر بالمعروف ونهى عن المنكر وخالف فعله قوله ، فقال :

● (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) الصف : ٢ ، ٣ .

● وفى السنة :

● عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار

(١) أى : الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين .

فتندلق أفتاب (١) بطنه فيدور بها كما يدور الحممار في الرحى ،
فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمـر
بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف
ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية) رواه البخارى ومسلم .

● وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم :

(رأيت ليلة أسرى بى رجلا تقرض ثفاههم بمقاريض من
النار . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : الخطباء من أمتك الذين
يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهو يتاون الكتاب ، أفلا
يعقلون) .

رواه ابن الدنيا وابن حبان .

● وعن جندب بن عبد الله الأزدي صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج
يضيء للناس ويحرق نفسه) رواه الطبرانى بإسناد حسن والبخارى .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : (يبصر أحدكم القذاة فى عين أخيه ، وينسى الجذع
فى عينه) رواه ابن حبان فى صحيحه .

●● فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى تكون عاملا بما تقول ،
وحتى لا تكون من الذين يقولون ما لا يفعلون :

وحسبك كذلك هذه الآثار :

● قال أبو الدرداء رضى الله عنه :

(١) تندلق أفتاب بطنه : أى تخرج أمعاؤه .

(ويل لمن لا يعلم مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات) .
احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٣ .

● وقال مالك بن دينار رحمه الله :

(ان العالم اذا لم يعمل بعلمه : زلت موعظته عن القلوب ،
كما يزل القطر عن الصفا (١)) .

احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٣ .

● ويقول الامام الغزالي رحمه الله :

(ان هداية الغير فرع للاهتداء ، وكذلك تقويم الغير فرع
الاستقامة ، والاصلاح زكاة عن نصاب الصلاح ، فمن ليس بصالح
في نفسه فكيف يصلح غيره ، ومتى يستقيم الظل والعود اعوج) .

احياء علوم الدين : ج ٢ ص ٣٠٩ .

● وقال أبو الأسود الدؤلي رحمه الله المتوفى سنة ٦٥ هـ ،
من قصيدة ميمية في الحكم :

واذا طلبت الى كريم حاجة
فلقأوه يكفيك والتسليم
اترك مجارة السفينة فانها
ندم وغب (٢) بعد ذاك وخيم

* * *

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام (٣) وذى الضنا
خيمنا يصيح به وأنت سقيم

(١) أي : عن الحجارة المساء . (٢) أي : العاقبة .

(٣) أي : المرض .

ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
أبدا وأنت من الرشاد (١) عديم
أبدا بنفسك فانها عن غيرها (٢)
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك من يسمع ما تقول ويهتدى
بالقول منك فينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

● وقال آخر :

مواظ الواعظ لن تقبلا
حتى يعيها قلبه أولا
يا قوم من أظلم من واعظ
خالف ما قد قاله في الملا
أظهر بين الخلق أحسانه
وخالف الرحمن لما خلا

●● وثالثها ، الاخلاص :

وقد قرأت في كتاب (هداية المرشدين) (٣) كلاما جامعاً ،
أرى من الخير أن أزودك به ، فإليك :

● (فينبغي للداعي أن يتحلى بالآداب الشرعية ، والاخلاص
في الدعوة إلى الله تعالى حتى يكون وارثاً نبوياً ، وعالمًا ربانيًا ،
وأن يعلم أنه لا يجتمع الاخلاص في القلب ، ومحبة المدح والتثناء

(١) أى : الهدى .

(٢) أى الضلال .

(٣) للشيخ على محفوظ — رحمه الله تعالى ص ١٠٩ .

والطمع فيما عند الناس ، الا كما يجتمع الماء والنار ، والضرب والحوث فاذا حدثتك نفسك بطلب الاخلاص فاقبل على الطمع أولا فاذبحه بسكين البأس ، واقبل على المدح والثناء فازهد قيها زهد عشاق الدنيا في الآخرة ، فاذا تم لك ذبح الطمع والزهد في الثناء والمدح : سهل عليك الاخلاص ، والذي يسهل عليك ذبح الطمع علمك يقينا انه ليس من ثبى يطمع فيه الا وبيد الله تعالى وحده خزانته لا يملكها غيره ولا يؤتى العبد منها شيئا سواه الذى يسهل عليك الزهد في الثناء والمدح علمك انه ليس أحد ينفع مدحه ويزين ، ويضر ذمه ويشين ، الا الله وحده ، كما قال ذلك الاعرابي للنبي صلوات الله وسلامه عليه : (ان مدحى زين ، وذمى شين . فقال : ذلك الله عز وجل) قطعة من حديث طويل أخرجه ابن اسحق وغيره عن ابن عباس . فازهد في مدح من لا يزينك مدحه ، وفي ذم من لا يشينك ذمه ، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه ، وكل الشين في ذمه)

●● فليكن هذا المضمون الجامع دائما وأبدا نصب عينيك حتى تكون من المخلصين في دعوتك الى الله سبحانه وتعالى وحتى تكون شجاعا لا تخشى في الله لومة لائم ولا ترضى أحدا غير الله :

●● وحتى تكون من المخلصين ، وتتجنب الرياء : اليك هذا الحديث الصحيح الذى رواه مسلم والنسائي وغيرهما :

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : فلان جريء لفقء قليل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت

فيك القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم . وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ . فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما فعلت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : هو جواد ، فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار) .

●● وفي الأثر :

● يقول سليمان الداراني :

(طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى) .

● وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه :

(من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس) .

● وقال أيوب السخيتاني : (تخلص النيات على العمـال (العباد) أشد عليهم من جميع الأعمال) .

●● ورابعها ، الأمانة :

والمراد بها أن يكون المرء أميناً في تبليغ دين الله فلا يزيد ولا ينقص ولا يقول عن الله إلا ما كان عالماً به متمكناً فيه ، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم إلا ما صح عنه وكان على دراية بروايته .

●● ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

● (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون) الأعراف : ٣٣ .

ويقول تعالى :

● (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ،
اتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون) النحل : ١١٦ .

●● وفي السنة يقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

● عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : (من قال في القرآن برأيه او بما لا يعلم فليتبوا
مقعده من النار) .

أخرجه الترمذى والنسائى وأبو داود ، وقال الترمذى :
حديث حسن .

● وعن المغيرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : (ان كذبا على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمدا
فليتبوا مقعده من النار) . رواه مسلم .

●● وفي الأثر :

● روى أن أبا بكر رضى الله عنه قال : (أى سماء تظلمنى ،
وأى أرض تلقننى اذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم) .

● وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :

(كيف بكم اذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها
الكبير وتتخذ سنة ، فان غيرت يوما قبل هذا منكر . قال : ومتى
ذلك قال : اذا قلت أمناؤكم وكثرت أمراؤكم ، وقلت فقهاؤكم ،
وكثرت قراؤكم ، وتفقه لغير الدين ، والتمست الدنيا بعمل الآخرة) .

رواه عبد الرازق فى كتابه .

●● وخامسها : الصبر :

ففى القرآن الكريم يقول تعالى :

● (يا بنى أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر ،
واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور) لقمان : ١٧ .
وقال تعالى :

● (والعصر * ان الانسان لفى خسر * الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) .
سورة العصر .

●● وفى السنة :

● عن أبى ذر رضى الله عنه قال : (أوصانى خليلى صلى الله
عليه وسلم بإخصال من الخير : أوصانى أن لا أخاف فى الله لومة
لائم ، وأوصانى أن أقول الحق ، وان كان مرا) .
مختصرا رواه ابن حبان فى صحيحه .

● وفى حديث متفق عليه :

عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال :
(لقد لقيت من قومك — كفار قريش — وكان أشد ما لقيته منهم
يوم العقبة — عند الطائف — اذ عرضت نفسى على عبيد يا ليل
ابن عبد كلال — أكبر أهل الطائف من ثقيف — فلم يجبنى الى ما
أردت — من الايواء والاعانة على تبليغ الرسالة الى العباد فانطلقت
وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب — ميقات
أهل نجد على يوم وليلة من مكة — فرفعت رأسى واذا أنا بسحابة
قد أظلمتني ، فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام ، فقال : ان الله
تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث اليك ملك
الجبال — المتصرف عليها بأمر الحق تبارك وتعالى — لتأمره بما شئت

فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد ، ان الله قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي اليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين — الجبلين المحيطين بمكة ، والأخشب : هو الجبل الغليظ — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا) .

●● وسادسها ، الرفق واللين :

ففي القرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى لموسى وهارون عليهما السلام :

● (اذهبوا الى فرعون انه طغى * فقولوا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) طه : ٤٤ .

ويقول تعالى :

● (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هي أحسن ، ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو اعلم بالمهتدين) .

النحل : ١٢٥ .

ويقول تعالى :

● (وقل لعبادى يقولوا التى هي أحسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) الاسراء : ٥٣ .

●● وفي السنة :

● عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وما لا يعطي على ما سواه) .

رواه مسلم .

● وعنهما رضى الله عنها ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه) .
رواه مسلم .

● وعنهما رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله) متفق عليه .

● وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من يحرم الرفق يحرم الخير كله)
رواه مسلم .

● وسابعا ، التيسير والتبشير بفتح باب أمل للمقصرين :
فنى القرآن الكريم يقول الله تعالى :

● (والله يريد ان يتوب عليكم ، ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا) النساء : ٢٧ ، ٢٨ .

● (قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم *
وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون *
واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغفلة وانتم لا تشعرون) الزمر : ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ .

● (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر الله لهم ما قد سلف ، وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين) الانفال : ٣٨ .

● وفى السنة :

● عن أبى حمزة انس بن مالك الانصارى رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لله افرح بتوبة عبده من احدكم : سقط على بعيره ، وقد اضله في أرض فلاة) متفق عليه .

● وفي رواية لمسلم : (لله أشد فرحة بتوبة عبده حين يتوب إليه ، من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة فانقلبت وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك !! أخطأ من شدة الفرح) .

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وابشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة) رواه البخاري .

●● وثامنها ، الورع : والمراد به أن يكون على درجة من الصلاح والتقوى تجعله أسوة وقدوة للناس في العبادة والزهد والخوف من الله ، وحب المؤمنين والتواضع لهم .

ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى :

● (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران : ٧٩ .
وقال تعالى :

● (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) فصلت : ٣٣ .

●● وفي السنة :

● عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم : (دع ما يريك الى ما لا يريك) رواه الترمذي وقال حديث : حسن صحيح .

● وعن عطية بن عروة السعدي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما بأس به) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

●● فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ونفذه تنفيذا سليما على ضوء تلك الأساسيات حتى تكون من الدعاة الى الله تعالى بصورة ايجابية ومثمرة :

ولا تكن من هؤلاء الذين يرددون بدون فقه قول الله تبارك وتعالى :

● (... عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) ، فقد ورد :

● عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال :

يا أيها الناس انكم تقرعون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) . رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .

● وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان اول ما دخل النقص على بنى اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض) ثم قال : (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ● كانوا لا يتناهون

عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون • ترى كثيرا منهم يتولون
الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي
العذاب هم خالدون • ولأولئك كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه
ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون (ثم قال : (كلا والله
لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم
ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن
الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم) •

رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن هذا لفظ أبي داود
ولفظ الترمذي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(لا وقعت بنى إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا
فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فغضب الله قلوب
بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون ، فجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
متكئا فقال : لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا) :
قوله : تأطروهم أى تعطفوهم ، ولتقصرنه : أى لتحبسنه •

وختاما :

أسأل الله سبحانه و تعالى لى ولك ولجميع المسلمين
والمسلمات التوفيق والسداد ، والى اللقاء مع الحق الثالث ، وهو :

(حق المسلم على المسلم)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

المؤلف

طه عبد الله العفيفى

المعادى : مسجد الفتاح شارع (٩) — القاهرة

[The page contains extremely faint, illegible text, likely bleed-through from the reverse side.]

محتویات الکتاب

الموضوع	الاهــــــــــــداء
٥	
٧	تقـــــــــــــديم
١٣	نص حديث : (حق الطريق)
١٥	ســــــــــــــــؤال وجواب
١٥	غض البصر
٢٥	تفسير آيتين من سورة الذور تتعلقان بغض البصر
٤١	غريزة التبرج واطهار الزينة
٤٢	فتنة اللسان
٤٣	فتنة الصوت
٤٣	فتنة الطيب
٤٤	فتنة العرى
٤٥	حكم الوجـــــــــــه
١	الزواج وأهميته للشباب خاصة
١	الصيام ودوره الوقائي في حماية الشباب من الانفراط في الشهوات التأمل في ملكوت الله وضرورته في حياة المؤمنين ، والترغيب فيه
	العــــــــــــــــين واسرارها
	النظر الى من هو أدنى في الرزق وأثره في حياة الكادحين
	النظر الى من هو أكثر في العلم وضرورته في تنافس الدارسين
	كف الأذى
	الحياء وأهميته في تقويم الأخلاق والترغيب فيه ، تعاوننا عا
	كف الأذى

٨٣ صور من الأمراض الاجتماعية التي أساسها الحياء
 ألعاب مباحة شرعا ، مثل مسابقة العدو ، والمصارعة ،
 والضرب بالسهم ، واللعب بالحرايب ، وألعاب الفروسية ،
٩٣ والصيد وحكم لعب الميسر (القمار)
 التحذير من شرب الدخان والاشارة الى بعض أضراره الصحية
٩٦ والمالية
١٠٥ منكرات الثوارع
١٠٩ رد السلام
 حكم رد السلام على ضوء ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله
١١١ مساوات الله وسلامه عليه
١١٥ احكام فقهية تتعلق بالسلام
١٢٣ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 وحكمها في الاسلام ، والتعريف بهما كما جاء في التاج
١٢٥ الجامع للأصول
 الصفات التي يجب أن يتصف بها من يتصدى للأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر ، وهي : العلم ، والعمل بما يقول ،
 والاخلاص ، والأمانة ، والصبر ، والرفق واللين ، والتيسير
 والتبشير بفتح باب الأمل للمقصرين ، والورع ، والترغيب في
 كل هذا من الكتاب والسنة ، التحذير من عدم الأمر بالمعروف
١٢٧ والنهي عن المنكر كما هو ثابت في الكتاب والسنة

دار العاوم للطباعة

القاهرة — ٨ ش حسين حجازي ت : ٣١٧٤٨ — ٢٦٠٣١

رقم الايداع دار الكتب

٧٩/٤٥٧٦

دار الإعتصام

٨ شارع حسن حجازي - تلخون ٢٦٠٣١ / ٣١٧٤٨ - ص.ب ٤٧٠ - القاهرة

للطباعة والنشر والتوزيع

Bibliotheca Alexandrina



0408074

٨٠ قرشا